المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثاني عشر بعد المئة

١ مارس سنة ١٩٤٨ ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٦٧

معاجم اللغة العربية

بين المعجم اللغوي التاريخي والمعجم الكبير

شرع مجمعنا الموقَّر ، مجمع فؤاد الأول للغة العربيـة ، يضع القواعد العامة لقاموس جديد أسماه « المعجم الـكبير » ووضع لهذا العمل اللغوي العلميّ قوَاعدَ طبقها الأستاذ طه حسين بك عضو المجمع بتكليف من مجلسه على مادتين هما « أ بَرَ » و « أجـر » ، ليكونا نموذجاً يجري عليه تأليف ذلك المُعجَم ، وعُرِض النموذج على مؤتمر المجمع في جلسته المنعقدة في ١٦ من فبراير سـنة ١٩٤٨ ، وجرت في النموذج مناقشة لا بدّ لنا من أن نلخّص هنا أهم ما دار فيهـا ، فاننا بذلك إنما نؤرخ لعمل ذي بال ، ونسجّل لهذا العصر اتّجاهاً جديداً في تاريخنا القوميّ .

الملاحظـة الأولى

« ألاحظ في هذا النموذج ذكر علاقة الكلمات العربية بأصول سامِيّةٍ مكتوبة بلغة أجنبية ، وهذا معجم عربيّ وليس بحثاً علميًّا في أصول اللغات وعلاقاتها . وألاحظ كذلك أنه ذكرت كلمتا « مَأبِر » و « مِئْبَر » وقيل أنهما عَلمان على موضعين ولم يبيّن كلاهما أين هُوَ ، وجاء في النموذج ضبط حُوران بضم الحاء والصحة الفتح » (١) اه .

---

(١) الاستاذ السيد محمد كردعلي

بل وألاَحظ فوق ذلك أنه ذكر امام «مأبر» : «موضع» لا أكثر، وكذلك «مِئْبَر» : فهو «موضع» : ص ٥، فأين هما الموضعان : أفي السماء أم في الارض أم في الفضاء الواقع بينهما ؟ وما الذي يفيده قارىء الأدب او قارىء نصوص الأدب من هذا ؟

أما ذكر الأصول السَّاميَّة فتقليد صرف للأوربيين إذ يذكرون في معاجمهم الأصول اليونانية أو اللاَّطينيَّة التي يأخذون منها مفردات الألفاظ . ولا بأس مطلقاً من أن نجري على هذا التقليد فهو سنة حسنة ودرس فقهي في اللغة أراه ضروريًّا . غير أنه في هذا النموذج لم يستوف شرطاً أساسيًّا من شأنه أن يجعل هذا التقليد ذا فائدة فقهية . فيجب أوّل شيء أن توضع علامات خاصّة ، لا على الرَّسم اللاَّطيني للحرف ، ولكن على الرسم العَرَبِيّ تعين قارىء العربية على معرفة النَّبْر وخصّية الصوت والأشباع والمدّ والقصر والغَنّ والإشمام وما الى ذلك . وأقل ما في ذلك من فائدة أنه يعيننا على درس اللهجات والأصوات .

أمّا إذا لم نرع ذلك فلم يصبح لمن يريد أن يتَفَقَّه في أصول اللغة العربية من فائدة يجنيها من إثبات هذه الأُصول . بل إنّ إثبات هذه الأصول تظل في المعجم مادّة قليلة الغَنَاء نزرة الفائدة

كذلك رسمت بعض هذه الأصول بطريقة عجيبة . فمثلاً (ص ٤) تجد الرسم الآتي :

« الاكديه : س (Abar — أبَرُ) : رصاص » اه . والرسم بالحرف اللاطيني ينطق « أبار » لا أَبَرُ : فما فائدة الحرف اللاطيني هنا إذَن ؟ وجاء بعد ذلك :

« الارامية : س (abbara : abara — أبَارا — أبَّارا) : رصاص : اه . وقد وضع على الحرف « a » في الكلمتين ما يشبه الفتحة ليفيد المدّ الذي هو مكان الألف في العربيّة . ولكنّ هذه « الفتحة » لا تدل على خروج الصوت ، وإنما هي تدل على المدّ لا أكثر . فهل كان الآراميّ ينطق أبَارا وأبَّارا كما ننطقها نحن أهل العربية ؟ إذا لم يدلنا الرسم اللاَّطيني أو العربي على ذلك ، فما هي إذن الحكمة في إثباتهما ؟ فاذا انتقلنا الى العبرية وجدنا صانع هذا النموذج يقول :

« ويلاحظ أن الرصاص في العبرية (operet : عوفيرت) وفي الارمية (kapar - كبر)

ولا يعرف وطن هذه الكلمة الأصلي . اه . فأين operet من عوفيرت وأين kapar من كبر : وقد أثبتت « كبر » غير مشكولة بل أغفل شكلها عمداً إذ كيف تنطق kapar في العربية ؟ ولا شك في أن هذا ومثله يجعل من هذا المعجم مسخاً جديداً تنظر اليه مظان لغتنا الجيدة نظر الحسناء إذا ولدت هولة مفزعَة .

الملاحظة الثانية

(١) « جاء في النموذج أعلام جغرافية وأخرى تاريخية ذكرت في موضعها من المادتين اللغويتين . فهل ترون أن يجري على ذلك أو يُجْرَى على طريقة لاروس وغيره من المعجمات الأجنبية إذ تخصص قسماً للاعلام الجغرافية وقسماً آخر لأعلام التاريخ ؟ » (١)

(٢) ردّ على الملاحظة السابقة .

« إننا لا نَضَع في المعجم كل أعلام الجغرافيـة والتاريخ . ولكننا نقتصر من ذلك على أمهات الأعلام التي تعوّد قارىء الأدب العربيّ قراءتها في المعجمات ، وهي الأعلام التي يرد ذكرها في نصوص الأدب الرئيسية » (٢) . اه

(٣) « رأيي في مسألة الأعلام ان نثبت منها ما له صلة بالفهم اللغويّ ، فنحن نثبت في معجم اللغة اسم ابراهيم ومحمّد لا يعنينا من هما . ولكن نَبْغي من ذلك دلالة اللفظ اللغوي واشتقاقه » (٣) .

والحق الذي لا محيص عنه ولا فرار منه ان هذا الأسلوب عَتيق جرت عليه المعجمات القديمة اعتباطاً من غير أن نتبين مما جرت عليه أيّـة حكمة لغوية أو فنية . فاذا كان مما يحتاج اليه على رأي الأستاذ العقاد أن يذكر بعض الأسماء استشهاداً بها على اشتقاق أو غيره فطلق اسم يكفي ، ولكن ما هي الحكمة في أن نقول مثلاً :

« ابن الأبّار ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلَنسي أبو عبد الله ، مؤرخ أديب (٦٥٨ ×) ، » اه . ولقد نرى ان هذه الطريقة قد حملت أصحاب هذا النموذج على التورط في ذكر اسماء بدأت بحرف « ع » لأن في سلسلتها لفظ « أُبَيْر » قالوا :

« عصمة بن أُبَيْر التّيمي ، تيم الرّباب ، له وفادة ، وقاتل في الردة مؤمناً ، وعُوَيف

---

(١) أحمد لطفي السيد باشا (٢) طه حسين (٣) الأستاذ العقاد

ابن الأضبط بن أُبَيْشر الدّيلي ، أسلم عام الحديبية ، واستخلف في عمرة القضاء » . وما كان ليذكر في المادة غير أُبَيشر التيمي ، وأُبَيشر الديلي ، ان كان لذكرهما أية فائدة على الاطلاق

أيصح مثلاً اذا ذكرت كلمة : Bridge في معجم انجليزي أن يذكر معها مستر Thewebridge أو Shoebridge ومستر Bridgewater ومستر Bridge ، وإذا ذكرت كلمة : Bird ذكر معها مستر Byrde ومستر Baird وان احدهما قتل في حروب كذا والآخر تآمر على الملك فلان مثلاً ؟

مهما يكن من أمر ذلك فان ذكر الاعلام جغرافية كانت أم اسماء رجال أو نساء لا فائدة فيه مطلقاً بل هو حشو لا تهضمه معدة في القرن العشرين . وانما موضع ذلك موسوعات الاعلام اذا أردنا أن يكون لنا موسوعات أعلام تجري على أسلوب كتابة السير مختصرة أو مفصلة .

الملاحظة الثالثة

« وجهت ملاحظة أرجو أن يبت في شأنها : هل نذكر الأصول السامية للكلمات ؟ أنا أعتقد أن ذلك ضروري لأن المعجم للعلماء ، ولا بدّ من ذكر صلة الكلمات بأصولها وسوف لا افصل في اشتقاق الكلمة فأقول إن أصلها أكادي أو عبري أو غير ذلك . ولكني إذا لمحت تشابهاً في اللفظ في المعنى بين المادة العربية وبين مادة أخرى في احدى اللغات السامية ، فاني أسجل هذا التشابه غير مكتفٍ بالاشتراك اللفظي المجرد ، بل لا بدّ من الاتحاد في المعنى » (١)

(٢) « يلزم التحري في هذا الأمر خشية التورط فيما ليس بصحيح . فقد نجد اشتراكاً بين كلمة عربية وأخرى أكادية أو عبرية أو غير ذلك ، فنحسب أن الكلمة عربية مستقاة من ذلك الأصل ، على حين ان اللغة السامية تكون قد استخدمت هذه الكلمة استخداماً متأخراً في التاريخ عن وجود الكلمة في اللغة العربية » (٢)

(٣) « تحديد الأسبقية في نسبة الكلمات يحتاج الى موازنة دقيقة لتطور الكلمات وتجدد معانيها (٣) » .

---

(١) طه حسين (٢) احمد امين (٣) الاستاذ العقاد

حسن كل ذلك . ولكن قليلاً من أنعام النظر يخرجنا من هذه المناقشة بأشياء كثيرة لها أثر كبير في تكييف هذا المعجم العجيب .

تكلمت من قبل في الفائدة التي يتوقعها اللغوي من ذكر العلاقة بين الكلمات العربية وأصولها السامية . ولكن بأي دستور نعرف أن العبرية مثلاً هي الأصل للحرف العربي وان الحرف العربي لم يكن أصلاً للحرف العبري ؟ واذا استطعنا أن نقول مثلاً إن معنى حقيقيًا لحرف عبري هو الأصل في المعنى الحقيقي للحرف العربي الذي يشابهه في الرسم ، فما قولنا في المجازات ؟ أيقتضي تشابه المعاني المجازية في مادة من المواد ، أن يكون لكل مجاز عربي أصل سامي أخذ منه ، أو أن نعكس فنقول انه لزام أن يكون لكل مجاز عبري أو أكادي أو غيره أصل عربي نقل عنه ، أم نذهب الى أن المجاز في اللغة طريق للتوسع فيها نشترك في استخدامه الأذواق للتعبير عن مختلف المعاني التي تطرأ على الذهن ؟ ماذا نعمل في كل ذلك ، وما هو الدستور العلمي الذي نجري عليه ؟ الواقع أن وضع دستور علمي لمثل هذه البحوث الفقهية من أشق الأمور ، ان لم يكن متعذراً كل التعذر .

على أن بين حروف عربية وأخرى انجليزية تشابهاً في الجرس وفي المعنى، فهل نستطيع أن نقول ان احدى اللغتين أخذت عن صاحبتها، وأيتهما أعطت وأيتهما أخذت ؟ خذ مثلاً كلمة جريمة crime ، وطويل tall وغير ذلك كثير ، فهل أخذت اللغات السامية من الاندوجرمانية أم أخذت هذه من تلك ؟

أما إذا كانت العمدة على التشابه في الجرس والاقتراب في المعنى مما يجعل الدستور العلمي لمثل هذه البحوث، فأخلق به من دستور لا يصح أن ندعى إن بينه وبين العلم أوهى آصرة . وإذن يكون الأخذ بهذه الطريقة عبث لا يفيد منه العلماء أو المتعلمون وإنما يفيد منه تجار الحبر والورق وصفافو الحروف وأصحاب المطابع ، لأن كل تضخم في المعجم من هذه الناحية سوف لا يستفيد به غير هؤلاء .

* * *

هنالك في ما نقلنا عن الأستاذ احمد أمين والأستاذ العقاد لفتة الى جوهر الموضوع . ذلك بأن تحديد الأسبقية في نسبة الكلمات يحتاج فعلاً الى موازنة دقيقة ومراقبة لتطور

الكلمات وتجدد معانيها بطريق المجاز . ولكن اذا استطعنا أن نتقصى تاريخ تطور الحرف في اللغة العربية ، فهل نستطيع أن نتقصّى تاريخ تطوره في السَّاميَّات كلها، لنعرف أيها سبق باستعماله ؟ هذا من أشق الأشياء بل إنه متعذر . فقد عاشت العربية ومات أكثر أخواتها الساميات ، وتقدمت العربية في خلال خمسة عشر قرناً وأصيبت اخواتها بالجمود ، مما يجعل الطمع في مقارنة من هذا القبيل مستحيلة استحالة ماديَّة .

ولكن هذه اللفتة إنما ترشدنا الى حقيقة واقعة هي أن مجمع اللغة يحاول بوضع هذا المعجم الفرار من وضع معجم لغوي تاريخي على النمط الذي انتحاه الانجليز في وضع معجم اكسفورد والنمط الذي يجري عليه الفرنسيون الآن في وضع معجم لغوي تاريخي للغتهم . ولكن الواقع أنه لو وضع المجمع ألف قاموس وقاموس ، فلا فرار له من مواجهة الصعوبة التي يهرب منها ، صعوبة العمل على وضع معجم لغويٍّ تاريخي يجمع شتات اللغة ويصبح ديواناً لآدابها .

لقد ماتت الطريقة التي يود المجمع أن يجري عليها ، وعلى أساسها وضع هذا النموذج. أماتتها الطريقة التاريخية وأماتها اللغويون والمعجميون في جميع انحاء كرة الأرض . ولكننا نريد أن نحييها . نريد أن نحيي طريقة تعتمد على جمع ما في المعاجم القديمة بتعريفاتها القديمة، وأن نضع لها ترتيباً حديثاً ولكنه خطأ ، لنقول أننا صنفنا معجماً كبيراً ، أشرف عليه فلان وفلان من العلماء ، وساعد فيه علاَّن وعلاَّن من اللُّغويين . مهما يكن من أمر ذلك فالمجمع بمرسومه الأصليّ الذي قضى بتكوينه، مكلف بوضع معجم لغوي تاريخي . ورحم الله من أشار بوضع هذا النص في المرسوم فقد عرف داء اللغة العربية ووصف لها الدواء .

ما هي الفائدة التي تعود على اللغة اذا نحن جمعنا مواد المعاجم القديمة بتعريفاتها ، وأفسدناها أو زدناها فساداً بوضع جديد لا تقره أية طريقة علمية ، وهجرنا ما تتضمن كتب الأدب والتاريخ والفقه والعُلوم والفنون التي كتبت باللغة العربية في فترة لا تقل تجاوزاً عن عشرة قرون من الزمان ؟ أنكون قد وضعنا قاموساً أم نكون قد عبثنا فأخذنا القديم وخلعنا عنه رداءً أصفر لنلبسه رداءً أحمر ؟

* * *

نظرة واحدة ، بل نظرة عابرة في هذا النموذج الذي بين يدينا ، تدل قاطع الدلالة على ان المجمع هكذا يفعل . فقد ذكر لمادة « أبَرَ » ثلاثة معانٍ أصلية ، وذكر لمادة « أجر » أربعة ؟ وهذا غير ما سيأتي من المعاني . فهل هذه المعاني جميعها حقيقيـة ، أم ان منها ما هو مجاز ؟ الحق ان النموذج لا يعرفنا شيئاً من ذلك . فاذا اعتبرت معان حقيقية، كان هذا منتهى العبث، لأن اللفظ لا يولد وله أكثر من معنى حقيقي واحد . تلك سنة الخالق في حروف كل لغة من لغات العالم . واذا اعتبرت مجازات فماذا كان المعنى الحقيقي التي عنه تفرعت ؟

قد يتفق أن نعجز عن معرفة المعنى الحقيقي لحرف من الحروف . فقـد يتفق أن يكون هذا المعنى قد مات ، وحلَّ محله مجاز . ولـكن لا بدَّ من أن نعتبر لـكل حرف معنى هو المعنى الحقيقي ، ومنه تتفرّع المجازات . وهذا لا يمكن استنباطه إلاَّ بالطريقة التاريخية التي أشار اليها الأستاذان احمد أمين والعقاد . إن اشارتيهما لتقولان بأفصح لسان: «أيها المجمعيون عليكم بالطريقة التاريخية لتتقصوا أصل اللغة » .

أضف الى ذلك بعض تعريفات تورّط فيها واضع هذا النموذج إذ عرّف بعض المعاني بألفاظ غريبة بل بنفس الألفاظ التي وردت في المعاجم القديمة ، فـكان ذلك أعجب ما في هذا النموذج من أعاجيب .

جاء في الصفحة الأولى العبارة الآتية :

« وذلك انها لا تؤبر الاَّ بعد ظهور ثمرها وانشقاق طلعها وكوافرها من غضيضها » . اه وكان على واضع هذا النموذج ان يميل الى أحد الأعضاء من رجال العلم الصرف ويقول له أتعرف الطلع والـكوافر والغضيض ؟ ليعلم ان كان قد أحسن بنقل هذه العبارة من قاموس قديم لتكون تعريفاً في قاموس من أبناء القرن العشرين ؟ هل لي الحق مثلاً في أن أعرف الفرخَ فأقول إنه :

« نِقف اُلـكَـيـنكـة بعد أن يطارح الحَمَـلَ وينبت الزّمِكّ » : إلاَّ ويكون مثلي في هذا كمثل من قال « أشكوك كوك كي تنكف عن » : والله لست أعلم عن أي شيء يكف كوك ، فقد غاب عني بقية العبارة .

ثم ارجع الى ص ٢ تجد ما يأتي :

المؤتمر: رب الزرع» : اه . فلماذا نقول رب ولا نقول صاحب؟ لِمَ الاغراب عن أهل هذا العصر؟ ثم ان هذا جاء في معنى الاصلاح والتقوية: وليس في رب الزرع اصلاح ولا تقوية، ثم جاء بعد ذلك: «المئبر ما يلقح به النخل: كالمأبر». وليس في هذا اصلاح ولا تقوية. وإنما فيه معنى «النخس» وهو المعنى الثاني من المعاني التي جزئت اليها المادة. وانما الذي يأتي بمعنى الاصلاح والتقوية هو «التأبير» لا «المئبر»، بدليل أن واضع النموذج ذكر المئبر مرة ثانية في معنى «النخس» (ص٣) فقال: شوكة العقرب وموضع الابرة ومارق من الرمل. على أن مارق من الرمل فيه معنى التقوية والاصلاح، فان الأرض التي يرق رملها تكون أصلح للزراعة، وانما تجهد السائر فيها فيقوي ذلك عزمه على الامعان في الجهد، وعضلاته على مقاومة صعوبة المشي.

ثم جاء بعد ذلك في المعنى الثاني أي معنى «نخس شيء بشيء» ما يأتي: ابرة الفرس ما استدق من عرقوبه، وابرة القرن والاسان والابرة المتعادلة والابرة المغناطيسية والابرة الموقوفة وانحراف الابرة: فهل في ابرة الفرس وابرة القرن والاسان وغير ذلك ما يؤدي معنى النخس؟. فهل تخزك ياسيدي إبرة لسانك لتقول ما قلت؟

الملاحظة الرابعة

«لا ريب في أن المجهود الذي بذل في وضع هذا النموذج مجهود كريم، وإنا نشكر للدكتور طه حسين بك ولمعاونيه ما بذلوا من عناء، وما قدموا من بحث، ونرجو أن نرى معجماً على هذا الوضع ونحن أحياء⁽¹⁾

وعلى أثر هذا الاطراء وافق مؤتمر المجمع على «السير في العمل في المعجم على أساس النموذج المعروض مع رعاية ما أبدي في المناقشة من ملاحظات» اه. وكان من الاوضح والأقوم أن يقال «مع مراعاة» لا «مع رعاية» والله أعلم.

وبهذا نفض المجمع عن كاهله عبء الطريقة التاريخية في وضع معجمه، ولكل أجل كتاب.

اسماعيل مظهر

---

(١) زكي المهندس

نظرات في النفس والحياة

— ٥ —

نظرات أناتول فرانس

أناتول فرانس هو الإسم الذي اشتهر به كاتب من أكابر كتَّاب القرن العشرين وهو فرنسي كان أبوه يبيع الكتب فنشأ مولّعاً بالاطلاع ولكنه كان يخالط الناس ويتقصّى أخبارهم وقد جمع في كتبه بين السخر والحنان والتسامح والرأفة بالضعفاء والفقراء ، ولكن عقله لم يكن من العقول التي تتَشَبَّثُ بمبدإ من مبادىء الفكر لا يتعدَّاه ولا ينظر الى غيره ، بل كان ينظر إلى جوانب كل أمر حتى أنه قد يَنْطِق بعض أشخاص قصصه بآراء مختلفة إذا اختلفت حالات نفوسهم ، ثمَّ يكون أول من يَلفِت الى هذا الإختلاف وقد برع في القصص الطويلة كما برع في القصص القصيرة .

ومن قصصه الشهيرة قصة (تاييس) وهي كما قال أستاذ كبير تشبه قصة (هايبشيا) للقصصي الإنجليزي شارلز كنجزلي ولكن الشبه جاء من ناحية تقارب عصري القصتين وعند التمحيص يختلف أشخاص القصتين ، وأناتول فرانس قلما يُجارَى في تذَوُّقه لفنه. ومن كتبه قصة (كتاب صديقي) وفيها انتشى من نفحات الطفولة والصبا وجمع الى ذلك دقة الملاحظة ونُضج الذهن وله قصة الثورة الفرنسية الكبرى واسمها (الآلهة ظمآى) وليس فيها عنف فلوبير في قصة صلامبو عن قرطاجة . ولكن تحت هدوء فنه يحس القارىء مرجل الثورة يفور وكان همه أن يفسر روحها . ومن كتبه الشهيرة (حديقة أبيقور) وهو نظرات في النفس والحياة، وكتاب (الحياة الأدبية) وهو مقالات في النقد والأدب ، و (طموح جان سرفان) و (قصة ممثل) و (سلفستر بونار) و (آراء الأب كوانيار) و (الحجر الأبيض) و (ثورة الملائكة) وفي الكتاب الأخير يميل الى الروح الاغريقية القديمة . ومن كتبه المؤثرة (حياة جان دارك) و (جوكاستا) وله قصص أخرى عديدة بعضها يغلب عليه

السخر وبعضها يغلب عليه النقاش الفكري أو وصف تاريخ فرنسا وحياتها في عهده . ويتردد أشخاص بعضها في أكثر من كتاب . وبالرغم من عداء رجال الكنيسة له فقد أنصفهم في وصف بعض أشخاص الكنيسة في كتبه . وقد اعتنق المذهب الاشتراكي في أواخر أيامه . ويمكن أن يقال بالاختصار انه بالرغم من سخره كثير التسامح كثير الحنان . ومن نظراته ما يأتي : —

(١) كنت وأنا طفل صغير أقرأ كتب الزهاد المترهبين من ذوي التقشف فأحدث ذلك عندي رغبة في أن أكون راهباً زاهداً مُتَقَشِّفاً وامتنعتُ عن الطعام وحاكيت حياتهم فقال أبي يصفني «انه مجنون» فعزيتُ نفسي وقلت إنَّ أبي في الحياة الأخرى سوف لاينال ما سأنال من جزاء على الزهد فلا يقاسمني مجده ولا يشاركني فيه فأختصّ به دونه فلم يؤلمني تَنَقُّصُهُ لي واتهامه إيَّاي بالجنون وانشرح صدري وسُرَّت نفسي وهذا إحساس يشترك فيه الصغار والكبار فإنَّ الرجال قد يودون صديقاً ويرجون له كل خير فاذا خالفهم في أمر سُرُّوا بحرمانه المأمول من خيره المنظور وعزُّوا أنفسهم بالاختصاص به دونه ، وإن كانوا صادقين في مودته.. وكذلك الحال بين الأحبَّاء ... وقد يزداد هذا السرور بحرمان المخالف حتى يصير تَشَفِّياً وانتقاماً كريهين .

(٢) كان الدرس في حصة الآنسة لافورت المعلمة فوضى من الاضطراب وكان عندها شيء من الذهول وقلة المبالاة. فإذا لَجَّ الصخب في تنبيهها هجمت على أي تلميذ وضربته ثمَّ تعود الى تبلُّدها وذهولها .. وهكذا الدنيا قد تعاقب من ليس أحق بالعقاب ، والعاقل من حاول أن يطامن نفسه على تَلَقِّي ضرباتها كما كان يصنع تلاميذ المعلمة لافورت

(٣) أهمُّ ما في التضحية هي التضحية ذاتها . أمَّا أنَّها في أمرٍ غير حقيقي وإنها لا تعود بفائدة ولا عائدة فهذا لا يقلل من قيمتها ما دام صاحبها الذي يؤدِّي ما تفرضه عليه التضحية يجد إليها اطمئناناً ويحس فيها راحة ويراها أمراً واجباً وإنها عائدة من غير شك بالخير ، وهذا هو الذي يسوِّغها .

(٤) كنت إذا غايَظتُ تلميذاً صغيراً مثلي يُهَوِّنُ عليَّ ذنبي إليه شعوري بعظم ذنبي ... وهكذا الكبار أيضاً يهوِّن عليهم ذنوبهم إحساسهم بالذنب ويشعرون كأنما قد

كَفَّرُوا عن ذنوبهم به حتى صار كان لم يكن — وهذا قد يدعوهم الى الاطمئنان والى معاودة تلك الذنوب .

(٥) كنت قد اعتزمت وأنا صغير أن أكتب تاريخ فرنسا في خمسين مجلداً ولكن منعني أني لم أستطع معرفة تاريخ أول مَلِك . ومن ذلك الحين أحمد للصعوبات في الحياة فضلها وأشكر صنيعها، فكم أنقذت من ورطة وكم أسعفت بخيبة في طيها نعمة. أمَّا صديقي فونتانيه فإنه يَخْرُقُ بين أرجل الصعوبات (إن كانت لها أرجل) ... كما يحرق أطفال الشوارع بين السيارات السريعة .

(٦) عند ما طلب مني القس في الكنيسة أن أعترف (وهذا أمرٌ يؤديه الكاثوليك) أدركتني الحيرة إذ كنت صغيراً لا أُميّزُ صفات أعمالي ولا أعرف أيها أعد ذنباً، فحاولت أن أتذكر ذنباً جنيته كي أعترف به للقس فلم أستطع ، فاعتراني الخجل والأسف إذ لم أجد ذنباً . ثم تذكرت إتلافي قُبَّعَة صديقي فونتانيه فارتاحت نفسي وتعاظمت لديَّ وقلت الآن أستطيع أن أعترف بذنبي من غير خجل أو شعور بالنقص ... وهذا قد يفسر لنا فخر الكبار بذنوبهم في بعض الأحايين ومباهاتهم الناس بها .

(٧) مما علمني حب الصغار المحافظة على التقاليد والعُرْف المألوف بالرغم من طيشهم وثورتهم عليه في بعض الأحايين . إنَّ عمي كان قد صنع لي حقيبة كتب جديدة من شيء لم يكن حقيبة كتب ولا كانت حقيبتي كحقيبة التلاميذ فجعلوا يسخرون ويضحكون ويبتكرون الفكاهات إزراء بها ، ولكنهم لم يفكروا في السخر من حقيبة كتب صديقي فونتانيه وكانت قديمة ممزَّقة مُرَعْبَلة ولكنها كانت على شكل حقائب الكتب فكان لاشك فيها . وهذا يذكرني قول وردزورثَ الشاعر الانجليزي (إنَّ الطفل أبو الرجل) فهذه الغرائز والطباع موجودة أيضاً في الكبار . وهم يسخرون من كل جديد لأنه يخالف المألوف .

(٨) كنت وأنا غلام صغير أذهب الى حلاّق كي يقص شعري وكان يحكي لي اثناء الحلاقة (كما هي عادة الحلاقين) كيف انه كان في سفينة في عرض البحر تحطمت واضطرَّ ركابها أن يأكلوا إنساناً منهم . وكان يهش ويبتسم وهو يحكي لي كيف أكلوا اللحم البشري وكأنما كانت هشاشته هشاشة المتفائلين بالحياة المؤمنين بالإنسان ولا يرون إلاَّ جانب الأمل

في حياته ... ولا غرابة في اطمئنان ذلك الحلاّق . فإنّ الناس كثيراً ما يأكلون اللحوم البشرية على سبيل المجاز والاستعارة كما يصنعون في استغلال الضعفاء المحرومين والنساء والاقتتال على النظريات وكما يصنعون في الغيبة والنميمة في حياتهم اليومية وفي إهمال المُشَرَّدين من الأطفال وغيرهم .

(٩) كانت حياتي في الطفولة حياة صغيرة ولكنها كانت (حياةً) أي إنها كانت عندي قطب الدنيا ومركز الكون ومحور العالم وكل حي حيّ ولو كان كلباً صغيراً يحس كأنما هو مركز الكون ومحور العالم .

(١٠) كنت في صغري مدلَّلاً مُنَعَّماً على قدر ما يستطيع أهلي من التدليل والتنعيم وكنت أجد لذة في حياتي المنزلية كما يحك العصفور الصغير جانبه بريش عشه الناعم لذّة وسروراً واطمئناناً . ومع ذلك فقد كنت أحسد غلاماً صغيراً مُشَرَّداً وكنت أراه من نافذة منزلي وكان أبواي يمنعاني من مخالطة أبناء الشوارع. وكانت أم ذلك الغلام تتركه حرّاً طليقاً قذراً ممزق الثياب وتذهب كي تكسب قوتها بأن تغسل ثياب الناس . فلم تكن تقيده تكاليف الحياة وكان يخيل لي أنه كان ينظر إليَّ كما ينظر العصفور الطليق إلى العصفور الحبيس ... وهذه الفكرة تذكرني قصة من تصنيف ستاسي أومونييه القصصي الانجليزي الذي تتبع فيها دائرة الحسد فوجد كل إنسان يحسدُ من هو أحسن منه حالاً حتى إذا بلغ أكبر محسود وجده وقد سئم تكاليف حياته وقيودها وهمومها يحسد أحقر حاسد ولو كان صعلوكاً متشرداً حسبه حرّاً طليقاً غير مقيد بتكاليف الحياة .

(١١) عند ما نبحث عن الحق كثيراً ما نجده أمراً مألوفاً وإن كان غريباً قبل معرفته ولكن تلك الغرابة تُحَبِّبُهُ إلينا ولو لم نشعر بالغرابة لمللناه وضجرنا به . والمراد حقائق النفس والحياة التي نشاهدها ونغفل عنها ، كأنما قد غُطِّيت عنا ولُبِّست علينا .

(١٢) كانت عندنا خادم ريفية سمحنا لها مرة ان تذهب إلى باريس وبعد عودتها سألناها ماذا رأيت في باريس ؟ وماذا أعجبك منها ؟ قالت الفجل ! رأيت فجلاً كبيراً . انها رأت كل ما تستطاع رؤيته من حضارة باريس ومبانيها وما في نوافذها وشوارعها ومتنزّهاتها ولكن لم يعجبها الاّ أنها رأت فجلاً كبيراً .... وهكذا بعض الناس في الحياة يرون ماتعرضه عليهم

ثم لايعجبهم منها الاّ ما هو شبيه بالفجل في نظر الريفية .

(١٣) اننا نرى الأطفال لايستطيعون أسهل الأمور والأعمال الاَّ بعد الدربة والمزاولة وننسى حقيقة أولية وهي أن هذا يصدق أيضاً في الكبار كما يصدق في الصغار . فان كل عمل مهما هان يصعب حتى يتعوَّده من لم يتعوَّده من قبل .

(١٤) اذا كان لبعض الأمهات ابن ذكي وسألتها جارة عن سنه أصغرت عمره وقللت سنه كي تظهر على جارتها وتنتصر وتعلو اذ أنها تعرف انه من المحال ان يكون لجارتها ابن صغير ذكي في مثل السن التي ادعتهـا لابنها وهي اذ تستثير إعجاب جارتها تستثير حسدها ..... ومن الأمور المتناقضة في النفس ان الذي يباهي الناس ويستفز حسدهم بالمباهاة لا يمنعه ذلك من محاولة اخفاء كل ما يمكن أن يحسد عليه في حالات نفسية أخرى اذا أزعجته عاقبة الحسد. وبعض الأمهات وغير الأمهات يخشينَ صولة القدر المفاجئة وضربته المباغتة اذا كنَّ في سعادة وغبطة وحبور وهنَّ في ذلك مثل الأمهات الأثينيات قديماً اللواتي كنَّ يضعنَ اطفالهنَّ عند قدمي تمثال نيميسيس (ربة الحسد) ويتضرعنَ اليها أن تغتفر لهنَّ سعادتهنَّ بأطفالهنَّ خشية أن تصيبهم ربة النقمة والحسد بمكروه . وبالرغم من أن خيال الوثنيين قد خيل لهم ربة للحسد فان للناس افتتاناً عجيباً باستثارة إعجاب الناس واستفزاز حسدهم وهم يخشون هذا الحسد ويعلمون إنه كثيراً ما يحيق بهم السوء منه من غير استثارة واستفزاز لميل كثير من الناس إلى إلحاق الأذى بمن يحسدون . والحسد وإن عمَّ ، من الغرائز الموروثة بسبب هذا النظام الاجتماعي .

(١٥) سأل أندريه الصغير أمه وقد مات أبوه هل مات أبي وذهب عنـا ولا يعود ؟ قالت نعم . فصمت قليلاً . ثم قال . هذا شيء حسن لأني أحبك كأني أحب اثنين وإذا عاد أبي الينا لا أجد في قلبي شيئاً من الحب أخصه به وهذا ما أخشاه وإحساس أندريه الصغير هو الاحساس الذي بنى عليه فرود نظريته في حب الابن للأم وغالى فيه حتى جعله مثل حب (أوديب) لأُمه وهو لايعرف إنها أمه وهذا قياس محال وقصة الملك أوديب قصة معروفة من قصص قدماء الاغريق .

(١٦) المراهقة وأحلامهـا قد تسبب للمراهق حزناً ولـكنه حزن مملوءٌ بالسعادة فتلتقي التعاسة والسعادة في وقت واحد . ولا غرابة فان من الناس مَنْ يأنس الى الحزن ولو سُلِبَ

منه أحسَّ فراغاً في نفسه وحياته .

(١٧) من الخطأ المضحك أن يحزن أنسان أو يَتَمَلَّكهُ الغيظ إذا ابتكر نظرية فوجد ما يفندها ويهدمها، إذ ان النظريات ما خُلِقَتْ إلاَّ كي تكون هدفاً للرماة وكي تصاب حتى تزول كما تزول الفقاقيع ، واحساس المرء بالغيظ إذا عورضت نظريته حماقة وضيق ذهن وأثرة ونقص .

(١٨) وجد الباحثون بعد البحث والتقصي ان القصص الخرافية والأساطير الشعبية موجودة أمثالها عند شعوب لم تتصل في ماضي تاريخها — وهذا قد يجعل المفكر يرى ان اعتقاد بعض المؤرخين ان الحضارة نشأت في بقعة من الأرض وانتقلت منها إلى باقي البقاع فيه غلو إذ ان عقل الانسان أساسه مشترك ومهيئات الحضارة كثيرة متنوعة والمعروف انها تنمو بتبادل الآراء على طرق المواصلة فليس أشحذ للذهن منها . وأما قول بعض المؤرخين ان جمهور الناس لو ترك وميله، حدثت له رجعة ونكسة وانه أميل الى التخريب. وان سطح الأرض مكسو بالحضارات التي هُدِمَتْ وخُرِبَتْ فلا ينفي ما ذكر . والحقيقة ان الخلاف خلاف لفظي محصور في تفسير معنى نشأة الحضارة فعند أية مرحلة يُعتَرَفُ بالنشأة ؟ نعم قد تسبق بعض الأمم غيرها في نُموّ الحضارة ، ولكن النموّ غير النشأة .

(١٩) كان معلمنا المسيو شوتار جباناً يخشى الكلاب واللصوص والرعد والعربات في الطرق ، وكان يخشى كل ما قد يؤذي الانسان . ولكنه كان إذا وصف الحروب والوقائع في دروس التاريخ وما قاساه الأبطال فيها من آلام وجروح ومشاق وما لاقوه من العذاب والموت، برع كل البراعة . وكان يخيل له أنه يقاسيها معهم ويقاسمهم مجدهم وكان يجد لذة في إهلاك الجيوش الكثيرة بحيل قديمة ، أو مبتكرة يتخيلها ، وهكذا شأن كل جبان يحاول أن يعوّض نفسه عما فقد من الشجاعة إما بادعاء الشجاعة وإما بوصف أعمال الشجعان والأبطال ويجد في ذلك ما يعينه لاحترام نفسه . ولذته في وصف إهلاك الجيوش الكبيرة بوسائل مبتكرة ، من القسوة التي كثيراً ما تلازم الجبان . وأكثر الناس بهم شيء من الجبن حتى ولو كانوا شجعاناً. وقد قال أحد الأبطال (من زعم انه لم يخف قط ولم يجبن قط فهو أكبر كاذب) وإنما العبرة بما تؤول اليه النفس بعد التغلب على الخوف عند مفاجأة الخطر

وبعد أول وهلة . ومن المعروف أيضاً في الاختلاف بين الطبع والقول إن بعض الكتاب المتزمتين في حياتهم يولعون بتصنيف كتب المجون كأن أنفسهم تريد أن تأخذ حظها مما فاتها منه في الأعمال بتنميق الأقوال فيه والافتنان في أساليبه بالكتابة وقد تكون صفتهم العجز عنه لا التزمت ، فيلجؤون الى ما يلجأ اليه هؤلاء من زخرف القول .

(٢٠) شغف بعض الناس بالمعرفة ناشىء من البغض أو الحسد ، ولكن شغفي بالمعرفة كان شغف من يود أن يألف الأشياء والحيوان والانسان لا شغف من يتخذ المعرفة أداة للأذى . وكل ما رأيته أو سمعته كان يهيىء لي وسائل هذا الشغف ويعينني على الاحساس بعناصر الحياة وأسسها .

(٢١) كان دوسيل رجلاً فاضلاً محبًّا للحرية ولكن الثوار المتطرفين حبسوه في أثناء الثورة الفرنسية الكبرى فصرخ ممتعضاً قائلاً : أهذا جزاء خمسين سنة قضيتها في مناصرة الفضيلة والحرية ؟ وهذا يذكرنا غيظ بارناف عند ما ساقوه الى المقصلة (الجيولوتين) كي يعدم وكان من الذين ناصروا الثورة من أول نشأتها ونشأته فدقّ الأرض بقدمه من الغيظ وقال : أهذا جزاء مناصرتي للحرية وعملي على تحقيقها . ويذكرنا أيضاً غيظ كاميل ديمولن وهو من أوائل المنتصرين للحرية عند ساقوه الى الاعدام فمزّق ثيابه من الغيظ وقال للجمهور : ألست أول من دعاكم الى الثورة على الاستبداد ؟ وكان الجمهور يهزأ به ويضحك ويسخر منه . وكم من انسان في هذه الدنيا يفعل كما فعل هؤلاء ويحس كما أحسوا إذا غمط حقه ووكس حظه ووجد جزاء الخير شرًّا وجزاء العمل تثبيطاً لتضارب الآراء وتنازع المصالح. والعاقل من لا يجعل جزاءه باظهاره الغيظ سخر الجماهير اللاهية عنه في أثناء اقتتالها على الحياة وتنازعها المنافع كما فعل هؤلاء .

(٢٢) قد علمتني المدرسة أن التلميذ الصغير كثيراً ما يعجب بما يقرأ أو بما يلقى اليه من غير فهم أو إدراك للمعنى . وانما هو يلتذه باحساسه وخياله . أو بالايحاء أو قدوة من يقول انه فاهم أو يدّعي الفهم أو يخشى أن يُتّهم في عقله .

(٢٣) ماتت جدّتي وأنا صغير وبالرغم من خيبة أملي عند ما سمعت العصافير تغني وكل شيء في الدنيا كان كأن لم تمت جدّتي . فاني كنت أحس احساساً غامضاً أن جمال

الأشجار وبهاء السماء وأصوات الأحياء أمور كلها متصلة بما يسمونه الموت وبه يتجدد.

(٢٤) لا بدَّ أن نتخلى عن كثير من أمور ماضي العالم ولكن ينبغي أن لا نتخلى عنها كلها وان نكون فارغي القلوب والعقول منها. لأننا لا نستطيع بناء المستقبل إلاَّ بمادة الماضي

(٢٥) من أهم أسباب سعادتي إني كنت دائماً إذا رغبت في شيء وأعوزني الحصول عليه واستعصى عليَّ، لا أكيد نفسي بالحزن والغيظ لفواته بل أستعيض عن ذلك بأن أتخيل أني حصلت عليه وحزته وتمتعت به. وقد أكسبت هذه العادة تخيل التمتع به شدة في الوضوح وأثراً بالغاً في الاحساس ومسرة كمسرتي بالحقيقة. فكان الخيال يغني عن الحقيقة ونعمة الخيال هذه لاشك فيها إلاَّ انها قد توهن قدرة المرء على العمل ولا سيما اذا كان بطبعه يميل الى الكسل ويجنح الى الراحة فتسبب خيبة الكسالى.

(٢٦) كنت في صغري عظيم الثقة بالحياة شديد الايمان بها بالرغم مما كانت تلحقه بغيري من الشقاء والتعاسة والمصائب. ولكل انسان نصيب من هذه الثقة بالحياة حتى بالرغم مما تلحقه بذاته من الآلام والشقاء وان كان يرى أنه أحق من غيره بالسعادة وبالعصمة من الشقاء — والآن صرت أفرق من كلمة الغد وأخشى المُقْبل من الأمور والحوادث، وقد فقدت ثقتي بها التي كنت أعتز بها في الشباب. ولكني لا أزال أحب الحياة كما يُحبُّ العاشق عشيقته التي فقد ثقته بها.

(٢٧) كانت أمي تعظني وتمنعني من مخالطة الصغار المُشرَّدين في الشوارع وتقول يا بُنيَّ لا تحسب أنَّ ذلك من جناية جنوها وإنما جنت عليهم الحياة فصرت أرحمهم بدل ان أحسدهم على نعمة الحرية التي في التَّشرُّد. حقًّا لقد علمتني أمي من صغري بقولها هذا أن لا أغتر وان لا أخدَع بقول الأثرياء السعداء إن الاشقياء إنما كانوا أشقياء بسبب ما جنوه على أنفسهم ... وهم إنما يقولون ذلك كي يسوّغوا إغفالهم إصلاح مساوىء الحياة.

(٢٨) حبَّبَ إليَّ الخيالُ وقراءة الكتب حياة الترهب والتقشف وامتنعت عن الطعام فسألتني أمي عن سبب ذلك وقد راعها ان ترى طفلها الصغير تبدر منه بادرة الرغبة في الزهد فقلت إذ سألتني يا أمَّاه إني أفعل ذلك كي أكون شهيراً ذائع الصيت وأطبع بطاقة أكتب فيها اسمي وأكتب تحته (الزاهد الشهير في الدنيا) فصرخَتْ أمي: لقد فقد ابني رشده قبل

سن الرشد . فقال أبي لا تزعجي نفسك ان الدنيا ستعلمه الزهد في الشهرة قبل ان يزهد في الحياة ... وقد فعلت . لقد علمتني الدنيا الزهد في الشهرة قبل الزهد في الحيـاة وما من مرة عاودني فيها الرغبة في الترهب والزهد إلاَّ جدَّدَتْ الحياة في نفسي الرغبة في مقاسمة الناس أعمالهم وان أجد السعادة في ذلك .

(٢٩) لو عاشت أمي لسَـرَّها ان تجد أكبر فضيلة لي في التسمُّح مع الناس ولو وجدت ان أكبر نقص لي في الشعور بهذا التسمُّـح لأن التسمُّـح لا تتم فضيلته إلاَّ اذا كان أمراً طبيعيـًا يصدر عن المرء من غير شعور بأنه يتسمَّـح ومن غير اعتداد به

(٣٠) ان للاطفال منطقاً عجيباً ولكنه مستقيم — لقد قالت جيسي الصغيرة لخالها : انك لا بدَّ أن تحبني يا خال ؟ قال متفهماً : ولماذا أحبك ؟ قالت لأني صغيرة . كأنها تقول إن الصغير الضعيف أحق بالرعاية وان الضعيف أحق بأن ينال ما يحتاج اليه ووجه الخلاف في هذا المنطق ان الانسان لا ينال دائماً في هذه الدنيا ما يحتاج اليه . ولكنه خطأ طبعي من جيسي الصغيرة لأنها لا تعرف الدنيا ونظامها .

لم يتسع هذا المقال الا لنظرات قليلة من كتاب واحد من كتب اناتول فرانس العديدة وهو القصة المسماة (كتاب صديقي) . (للبحث بقية) ع . ش .

العهد

يميناً بعهد الحب ما كنت ناسياً / ولا مر يوم بي فأصبحت ساليا
تلمست عن حبي عزاء وسلوة / وما أنت إلا سلوتي وعزائيا
وحاولت أن أنسى ليرتاح خاطري / ولكن حبي قد سرى في دمائيا
تكلفت حبس مدامعي فتمردت / وطاوعت قلبي في الهوى فعصانيا
وعاتبت نفسي في هواك ولمتها / فلا اللوم أجدى أو أفاد عتابيا
تعاودني ذكراك في كل لحظة / وطيفك يأبى عن خيالي التواريا
أحبك يا دنياي حبا تملكت / مشاعره قلبي وهز كيانيا
أسائل عنك النجم : كيف رأيتها / فهلا سألت النجم كيف يرانيا ؟!
وقد اشتهي الاغفاء علي في الكرى / أراك بأحلامي فأصبح راضيا
طويت شبابي في غرامك والصبا / فداك شبابي والصبا وحياتيا
أحبك !.. لو تدرين ما في جوانحي / لما خنت عهدي أو ظلمت وفائيا

كلية العلوم — عفيفي محمود عفيفي

الذرة

معقل الروح

كلُّ إنسان يهوى أن يعرف مصير روحه بعد موته وتهدم هيكلها المادي (الجسم) ولذا فإنَّ بحوث الروح والبقاء بعد الفناء وكيفيتهما ، تستهوي لب الإنسان وتسترعي انتباهه فلا يترك ملاحظة عنها إلاَّ ويقرأها علَّها تروي غلته . ولقد طرق ولا يزال يطرق موضوعها الكثير من العلماء والفلاسفة كما قرأنا ووعينا – على قدر فهمنا – في المقتطف الأغر ومن طرق – بحث الروح – أو البقاء بعد الموت – بأسلوب فلسفي مبني على العلم الطبيعي العلامة المرحوم الدكتور يعقوب صرُّوف . وها أني أوجز رأيه كما قرأته من مدّة بعيدة ،

كان الدكتور (يعقوب) مسافراً في القطار في باريس . وكانت تأتيه وهو يحرّر المقتطف كثيراً من المشاهدات الروحانية التي يدعي أصحابها بأنهم شاهدوا أشخاصاً أمواتاً في أوقات مختلفة وما فتئوا أن غابوا عن بصرهم . وعلاوة على هذا معرفة الدكتور مما يطالع عن علم الأرواح . كل هذه المنبهات أثارت خياله الوثَّاب المبني على العلم الصحيح فقال في نفسه . أمن المعقول أن يبني مثَّال تمثالاً ويهدمه بنفسه ؟ لا شك أن لا يقدم على مثل هذا إلاَّ الأطفال لأنهم طالما يخربون ما بنوا لمجرد رغبة ملحة أو طارئة ، وينزه عن هذا البارىء الأعظم أو المثَّال الأعلى . وإذن فلا بدَّ وان يتحوَّل الانسان من حالٍ الى حال ، كما يجوز أن يحوّر المثَّال تمثاله من شكل الى آخر وعلى هذا القياس من الاستقراء قرر الدكتور بأن الجسم المادي ينحل ويبقى الجسم الروحي ملبساً بثوب ألكتروني لا تراه الأبصار طبعاً ، ولكن أصحاب الحسّ المرهف أو من يحدث فيهم في وقت من الأوقات حسّ مرهف ، قد يرون هذا الشخص الألكتروني وعندما يرجع حسهم لطبيعته يغيب عنهم هذا الروح . وعلى هذه النتيجة قال الدكتور قصيدته التي يحضرني منها هذان البيتان ،

سبعون حولاً لقد مرَّت فما وجدت نفسي مقرّاً لها في العالم الفاني
فرضان إما بناء والفناء له لغوٌ وإما بقاءٌ شاده الباني

وممن طرق الموضوع ذاته العلامة (السر أوليفر لودج) مدير جامعة كمبردج ومخترع مستقبل لودج في اللاسلكي والمتوفي منذ بضع سنوات خلت . وكان الدافع للعلامة المذكور رغبته في اثبات وجود الأثير الذي أنكره (انشتين) كما أنكرته تجربة (مورلي–ميكلصن)،

وأما نظرته فتتلخص في أن كل جسم سواء أكان حياً أم جامداً مركباً من ذرات وبموجب تساوي أعدادها وأوزانها أو تساوي أعدادها واختلاف أوزانها الذرية لتكون العناصر المختلفة وتتناظر. ولكن الشيء المؤكد علمياً أن ذرات كل عنصر متساوية وهي مكونة من ألكترونات (ذات شحنة سالبة) وبروتونات (ذات شحنة موجبة) فالبروتونات تؤلف نواة الذرة والألكترونات تدور حولها. ولما كانت ألكترونات وبروتونات كل ذرة من ذرات أي عنصر لا يمكن أن تتلامس لأنها تتنافر (حسب قوانين الكهربية) وإذن فكيف يحس الفرد بالحرارة والبرودة وذرات أعصابه غير متصلة بل متفككة ولو بنسبة ضئيلة جداً ؟ فمن هذه النقطة عبر (السر أوليفر لودج) على جسر الأثير من العلم الى الفلسفة وقرّر بأن لا بدّ وأنّ الجسم المالىء لهذا الفراغ هو الأثير وهو الذي فيه المادّة الحية الحساسة (الروح) واعتقد بمناجاة الأرواح وبقاء الشخصية بعد الموت وألّف كتاباً عن مناجاة ابنه (ريموند) الذي قتل في الحرب الكبرى. ولكنه لا يعتقد بالوسطاء والمناجين لأنه يعتبرهم دجالين مشعوذين.

ولقد قرأت في مقتطف نوفمبر ١٩٤٧ بحثاً طريفاً في كيمياء النظائر للأستاذ فؤاد جبمان وفيه يقول أن نوى الذرات ليست مؤلفة من بروتونات فقط بل من كهارب موجبة (ألكترونات) ونوترونات وهي جسيمات خالية من كل شحنة كهربائية وان اختلاف النظائر ما هو الاّ اختلاف في عدد النوترونات في نواها. واذن ألا يمكن أن نقول الآن بأن ذرات الأجسام متماسكة وليس بينها فراغ مطلقاً وان قواعد تماسكها هي النوترونات لأنها خالية من كل شحنة كهربائية، ولذا فيجوز اتصالها بعضها ببعض حسب قانون الألفة الكيميائية. وإذا ما سلمنا بذلك ألا يصح أن تعتبر النوترونات هي الوسيط الموصل لأمواج الصوت والحرارة والكهربائية في الأجسام، كما انها معقل المادة الحسية في الاجسام الحية الحساسة وعلى صفحتها يرتكز العقل والشعور، وان تهدمها أو انطلاقها أو تفكك نسجها يسبب الموت وفيضان المادة الحية منها. أو انها تنفصل ككتلة عامة محتوية على الروح مكوّنة الجسم الروحي الذي يتحدث عنه الأستاذ « فهمي أبو الخير »؟ هذه نظرة أرسلتها على ضوء العلم الحديث وإني لمعتقد تمام الاعتقاد أنّ سر الحياة في الذّرة وفي قسم النوترونات منها. كما أني يحسن بي أن أبين للقارىء بأني لست من الاختصاصيين في الطبيعة ولكن عندي ميل لها واقرأ كما يقرأ الناس وقد أفهم مثلهم وأنّ هذه النتيجة معروضة للارشاد والتمحيص وقديماً قيل خذ الحكمة من أي إناء خرجت. وكذلك قال الشاعر

خذ عن البهم حكمة أو حصافة ضمنتها حكايةً أو خرافة

البصرة ميشيل شبلي السعد

الدين

والايمان بالمجردات

يظن كثير من النـاس أنّ الايمان بوجود عالم مجرّد عن المادّة أصلٌ من أصول الدين ، بل يغالي بعضهم في الإيمان بوجود هـذا العالم ، ويجعله حدّاً فاصلاً بين الايمان والـكفر، ويرى أن الإيمان بوجود الله يتوقف على الايمان بوجود العالم المجرّد عن المادّة. فمن يُـنكر وجود هذا العالم يكون كافراً عنده ، ومن يرى أنّ الإدراك عملٌ من أعمال المخ يكون كافراً أيضاً ، وهكذا من يعتقد نظير هـذا في الملائكة ونحوهم من العوالم التي لا ندركها بحواسنا .

ولا شك في أنّ هذا ظنٌّ خاطىءٌ ، وقد وقع فيـه بعض علماء عصرنا ، لأنه لم يدرس علم الـكلام في الأديان درساً صحيحاً ، ولم يكلف نفسه عناء البحث في كتبه القديمة ، لأنه لم يألف أسلوب البحث فيها ، وقد يجد في التواء عباراتها ما يصرفه عنها ، فلا يجد إلاّ أن يأخذ مسائل الدين من كتب الفلسفة القديمة والحديثة ، وهـذه الفلسفة تقوم على الايمان بالمجرّدات ، فيظن أن الدين مثل الفلسفة يقوم على الأيمان بالمجردات أيضاً ، ويتوهم أن من ينـكر وجودها يلزمه أن ينكر وجود الله أيضاً ، لأنه لا ينكرها إلاّ لأنه لا يدركها بحسه، والله تعالى لا يُـدْرَك بالحس أيضاً ، فيلزمه إنكار وجوده مثلها

والحقيقة أن علماء الـكلام ينكرون الإيمان بالمجردات ، بل يكفرون من يؤمن بها على الأساس الذي يقوم عليه في الفلسفة اليونانية ، لأنّ الايمان بها في هـذه الفلسفة يقوم على أساس أن الأشياء تصدر عن الله تعـالى بطريق العـلـّيـة لا بطريق الاختيار ، وقد اتفقت الأديان السماوية على أن الأشياء تصدر عن الله تعالى بطريق الاختيار لا بطريق العـلـّيـة ، وعلى هذا لا يصح أن يُـنظر الى الإيمان بالمجردات كما ينظر إليها بعض علماء عصرنا ، بل يجب أن ينظر إليها بعكس نظرهم، إذا أخذنا برأي علماء الـكلام فيهـا ، أو يقتصد في أمر

الايمان بها ، فلا يجعل حدًّا فاصلاً بين الايمان والكفر ، بل يبعد به عن العقيدة الدينية ، ويجعل مسألة علمية لا يتعلق بها إيمانٌ ولا كفر ، ويكون شأنها في هذا كشأن سائر المسائل العلمية .

ولقد كان المسلمون قبل نقل الفلسفة الى اللغة العربية لا يعرفون شيئاً عن هذه المجرَّدات ولا يهمهم أمر البحث فيها ، لأنَّ القرآن الكريم فيما تناوله من أمر الرُّوح قد سَنَّ لهم سنناً قويماً ، فلم يجعل البحث في حقيقتها من أمر الدين ، بل جعله من أمر العلم الذي يعتمد على العقل ، ويوصل الانسان الى معرفة حقائق الأشياء بقدر طاقته البشرية ، وهذا هو ما تشير إليه الآية — ٨٨ — من سورة الاسراء (ويسألونكَ عنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ من أمرِ ربِّي وما أُوتيتُمْ منَ العلمِ إلاَّ قليلاً)

فلما نقلت الفلسفة الى اللغة العربية عرفوا منها هذه المجرَّدات من العقول والنفوس وما إليها ، وقد جرَت طريقة إثباتها في هذه الفلسفة خلافاً كبيراً بين المسلمين ، فآمن بها فلاسفة الإسلام من الكندي والفارابي وابن سينا وغيرهم ، وأنكرها أكثر علماء الكلام ولم يؤمن بها إلاَّ القليل منهم ، ولكن من أثبتها من علماء الكلام لا يرى أنها تصدر عن الله بطريق العلِّية كما يرى الفلاسفة .

وهذه هي طريقة الفلاسفة في إثبات المجرَّدات الأولى التي صدرت عن الله تعالى ، وهي العقول :

قالوا : إنَّ الله تعالى واحدٌ من جميع الجهات فلا يصدر عنه إلاَّ واحد ، والواحد الذي يصدر عنه لا يجوز أن يكون جسماً ، لأنَّ الجسم مركَّب ، والتركيب ينافي الوحدة ، ولا يجوز أيضاً أن يكون هيولي أو صورة ، لأنه يلزم وجود كل منهما عند وجود الأخرى ، فلو كان أول المخلوقات إحداهما لزم أن تكون فاعلة للأُخرى ، وإلاَّ لزم وجود إحداهما دون الأخرى ، وكون إحداهما فاعلة للأُخرى باطل . أما المادَّة فلأنَّ شأنها القبول دون الفعل ، وأما الصورة فلأنها إنما تكون فاعلة بمشاركة المادَّة ، فيلزم تقدُّم المادَّة على نفسها ، ولا يجوز أيضاً أن يكون عَرَضاً ، لأنَّ العرَض يفتقر الى محل يقوم به ، ومحله إما أن يكون معلولاً لعلَّته فيلزم صدور الكثير عنها ، وإما أن يكون معلولاً لعَرَضه فيلزم تقدُّم

الشيء على نفسه ، ولا يجوز أيضاً أن يكون نفساً ، لأنه يجب أن يستقلّ بإيجاد ما بعده والنفس لا تستقل بايجاد ما بعدها ، لأن فعلها مشروط بالبدن ، فلا يمكن وجودها دونه ، وهو إما أن يكون معلولاً لعلتها ، فيلزم صدور الكثير عنها ، وإما أن يكون معلولاً لها ، فيلزم تقدم الشيء على نفسه . وبهذا كله لا يصح أن يكون أول المخلوقات جسماً ولا هيولي ولا صورة ولا عرَضاً ولا نفساً ، بل يجب أن يكون جوهراً مجرداً عن المادة في ذاته وفعله ، أي عقلاً .

وقد صدر عندهم بمقتضى هذا عقل واحد عن الله تعالى ، وهذا العقل يصدر عنه باعتبار وجوده عقل ثانٍ ، وباعتبار إمكانه جسم ، وهو جسم الفلك المحيط ، وباعتبار وجوبه بغيره وهو الله تعالى نفس ، وهي نفس هذا الفلك ، وهكذا يصدر عن العقل الثاني عقل ثالث ونفس وفلك ، الى أن تنتهي العقول الى عشرة ، والعقل العاشر هو الذي يدبر عالم العناصر ، وهو العالم الأرضي ، وما يحيط به من ماء وهواء ونار . وقد ذهبوا الى أن هذه العقول هي التي تسمى ملائكة في لسان الشرع ، فالملائكة عندهم هي العقول المجردة والنفوس الفلكية ، كما أن الجن عندهم أرواح مجردة أيضاً .

* * *

وعلماء الكلام لا يسلمون لهؤلاء الفلاسفة تلك القاعدة — قاعدة أن الواحد من جميع الجهات لا يصدر عنه إلاَّ واحد — لأن هذا مبني على أن الأشياء تصدر عن الله تعالى بطريق العلية ، وعلماء الكلام ينكرون هذا على الفلاسفة ، ويذهبون الى أن الأشياء تصدر عن الله بطريق الاختيار ، فلا مانع من أن يصدر عنه الكثير بهذا الطريق ، وإذا بطلت تلك القاعدة بطل ما ترتب عليها من القول بالجواهر المجردة عن المادة ، أو لا يلزم على الأقل القول بوجودها ، ولهذا اختلف علماء الكلام في القول به ، فمنهم من ينكر وجودها ويرى أنها لو كانت موجودة لشاركت الله تعالى في جنس الوجود المجرد عن المادة ، فتحتاج حقيقته الى فصل يميزها عنها ، وهذا يستلزم التركيب في حقيقته تعالى ، ومنهم من لا ينكر وجودها ، لأنها لا تشارك الله تعالى في جنس الوجود ، لأن وجودها ممكن لذاته واجب

بغيره ، ووجود الله تعالى واجب بذاته ، وعلى هذا لا يستلزم القول بها التركيب في ذات الله تعالى .

وقد ذهب علماء الكلام الى أن الملائكة أجسام لطيفة قادرة على أن تتشكل بأشكال مختلفة شأنهم الخير والطاعة وكمال العلم والقدرة على الأعمال الشاقة ، والى أن مسكنهم السماوات ، وانهم رسل الله الى الأنبياء ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وكذلك ذهبوا الى أن الجن أجسام لطيفة قادرة على أن تتشكل بأشكال مختلفة شأنهم الطاعة والمعصية كالبشر ، ومنهم فريق جبل على الشر والاغواء ، وهم الشياطين .

فكل من الملائكة والجن أجسام مادية لطيفة عند علماء الكلام ، وهي في هذا مثل سائر الأجسام المادية اللطيفة كالهواء والنار ، وليست جواهر مجردة عن المادة كما يرى الفلاسفة

وكذلك النفس الانسانية عند علماء الكلام ، فهم لا يرون أنها جوهر مجرد عن المادة كما يرى الفلاسفة ، بل يرون أنها جسم لطيف حي لذاته سار في البدن سريان الماء في الورد والنار في الفحم لا يتبدل ولا يتحلل ، فاذا بقي في البدن بقيت فيه الحياة ، وبهذا تكون حياة البدن بالعرض لا بالذات ، وإذا انتقل عنه الى عالم الأرواح أدركه الموت ، ومن علماء الكلام من يرى أن النفس الانسانية هي الأجزاء الأصلية التي لا تقوم الحياة بأقل منها وتبقى من أول العمر الى آخره ، فلا يرى هؤلاء أن النفس جسم لطيف كما يرى الأولون بل يرونها الأجزاء الأصلية لهذا الجسم الكثيف .

* * *

وقد استدل علماء الكلام على أن النفس جسم لا جوهر مجرد عن المادة بما يأتي من الأدلة :

(١) ان المدرك للكليات والجزئيات هو النفس ، لانا نحكم بالكلي على الجزئي ، فنقول – زيد إنسان – والحاكم بين الشيئين لا بد أن يتصورهما ، ومدرك الجزئيات هو الجسم لا غيره ، لانا نعلم بالضرورة أنا إذا لمسنا النار كان المدرك لحرارتها هو العضو اللامس ، ولأن غير الانسان من الحيوانات العجم يدرك الجزئيات ، مع الاتفاق على عدم إثبات النفوس المجردة لها ، وإذا كان مدرك الجزئيات هو الجسم ، وكانت النفس هي المدركة

للجزئيات والكليات بسبب حكمها بينها كانت جسماً لا جوهراً مجرداً عن المادة .

(٢) ان كل واحد منا يعلم قطعاً أنَّ ما يشير إليه بأنا وهو معنى النفس يتصف بأوصاف الجسم من القيام والقعود والأكل والشرب ونحو ذلك من خواص الأجسام ، وما يتصف بخواص الأجسام يكون جسماً .

(٣) أن نسبة الجوهر المجرد عن المادة إلى الأبدان على السواء ، فيجوز أن ينتقل من بدن الى آخر ، فلا يصح أن يقطع بأن زيد الموجود الآن هو الذي كان موجوداً بالأمس ، مع أنَّا نقطع بأنه هو بعينه ، فتكون نفسه جسمه لا جوهراً مجرداً خلافه

(٤) ظواهر النصوص الواردة في القرآن والحديث ، لأنها تدل على أنها تبقى بعد خراب البدن ، وتتصف بما هو من خواص الأجسام ، كالدخول في الدار ونحو ذلك

وإذا كان هذا هو شأن الإيمان بالمجردات في الدين ، لم يكن من الانصاف في شيء أن نجاوز شأنها فيه ، ولا أن نجعل الايمان بها أصلاً من أصوله ، لأن هذا يضر الدين ولا يفيده ، ويحمل كثيراً من الفلاسفة الذين لا يؤمنون بالمجردات على إنكاره ، ومن مصلحته أن يقبل هؤلاء الفلاسفة في حظيرته ، كما يقبل فيها الفلاسفة الذين يؤمنون بالمجردات. لتكون دائرته العلمية من السعة بحيث تشمل الفريقين ، وحتى لا يتأثر بالخلاف المحتدم بينهما الآن ، ولا يكون في انتصار أحدهما على الآخر خطر عليه ، فنحن الآن لا ندري لمن يكون النصر منهما ، وليس من مصلحة الدين أن نجعل أمره مرهوناً بهذه النتيجة المجهولة ، لأنا نعرضه بهذا للقلقلة ، ونداخله في دائرة الشك الذي يلابس هذه المعركة العلمية .

فلنقف في أمر الروح وما إليها من المجردات عند حدها في القرآن الكريم ، لأنه هو الحد الذي يجب أن يكون لها في الدين ، فلا يهمه أن تكون جوهراً مجرداً أو غير مجرد ، وإنما يهمه أن تكون مكلفة في الدنيا ، وأن يكون لها معاد وحساب في الآخرة كائنة ما كانت حقيقتها ، لأن معرفة حقائق الأشياء ليست من وظيفة الدين ، وإنما هي من وظيفة الفلسفة

عبد المتعال الصعيدى
الاستاذ بكلية اللغة العربية في الجامعة الازهرية

روبرت تشستر

Robert of Chester

نقل علم الكيمياء الى غربي أوربا ، منذ ٨٠٠ سنة مضين ولا يعرف غير القليل عن نشأة هذا الرجل ، ومما يعرف عنه انه يحتمل أن يكون قد ولد في مدينة « روتلاند » .

ولا شك في انه تعلم في مدرسة « تشستر » وكانت ناشئة في عصره ، ثم هاجر ، طبقاً لعادات طلاب العلم في زمانه ، الى الاندلس العربية ليتلق في جامعاتها العامرة . وكان العرب في ذلك العصر رواد العلم ومصابيح المعرفة .

في ١١ من فبراير سنة ١١٤٤ ميلادية ، أكمل روبرت ترجمة مقالة في الكيمياء نقلها عن العربية الى اللغة اللاطينية . وكان هذا أول متن في الكيمياء عرفته أوربا .

والواقع أنه أحضر معه من الاندلس رداء فضفاضاً كان يلبسه علماء العرب، كالبردة Gown التي تلبس في الجامعات البريطانية ، ولا يزال لذلك الرداء أثر في اثبات العلاقة الوثيقة التي ربطت بين العلماء في الشرق والغرب . ولم يدرك ذلك العالم بطبيعة الحال ، ما سوف يكون لردائه هذا من منزلة في مقبل الايام ، أكثر مما أدرك من قيمة مقالة أخرى نقلها عن العربية.

كانت هذه المقالة من تأليف عالم عربي من الرياضيين هو « الخوارزمي » كتبها في فرع من فروع العلوم الرياضية هو الجبر . والى جانب مؤلفاته الكبيرة في علم الرياضة ، ترجم روبرت القرآن لاول مرة في تاريخ اللغات الغربية. ولا ريبة في أن الامة الانجليزية خاصة وأوربا عامة ، مدينة لهذا الرجل بكثير من علومها . اذ لولاه لظلت علوم الكيمياء والرياضة ، كتاباً مغلقاً عن طلاب العلم الغربيين قروناً أخرى من بعده .

خصائص الفن الاسلامي

-١-

لريتشارد ايتنجهاوز (١)

يبدو الفن الاسلامي حديث العهد من الوجهة التاريخية إذا ما قورن بالفنون القديمة (الكلاسيكية) وان دراسته في المعاهد الأثرية أحدث من ذلك ، إذ لم تمض على دراسته أكثر من جيلين أو ثلاث كما أن ما أكتشف من آثاره القليلة لم يعرف الاَّ منذ زمن قريب. ونأمل أن يسفر التنقيب عن المزيد في المستقبل . ولا زالت دراسة المصادر الآدمية والمادية الخاصة في مراحلها الأولى ، ويجب علينا أن نعرف المزيد عن الظروف الخاصة التي نشأت فيها هذه التحف الفنية . فما زالت هناك مواد كثيرة في متناول اليد وفي حاجة الى البحث وللبروفسور ماسينيون والمرحوم السير توماس أرنولد الفضل في ارشادنا الى بعض المسائل العامة تمهيداً لفهم هذه المسائل جميعها. ومع ذلك فان دراسة المميزات العامة للفن الاسلامي سابقة لأوانها إلاَّ انه يمكن الحصول على نتائج أولية مما أمكن دراسته عن المميزات الفنية الاسلامية في الزمن الحالي .

ولا شك أن الفن الاسلامي قد استمد أصوله من المقوّماتُ الفنية القديمة التي كانت منتشرة في الشعوب الشرقية قبل فتح العرب لها . وقد وصلت اليه بعض هذه المؤثرات بطريقة مباشرة فكانت نقية لا شائبة فيها . كما انتقل اليه بعض آخر عن طريق الساسانيين أو القبط . وهناك مؤثرات خارجية استمدها من الهند . وليس المجال الآن بحث علاقة هذه المؤثرات بالفن الاسلامي ، وتطور طرزه وأشكاله ووحداته الزخرفية ، إذ أمكن الاجابة عن الأسئلة الخاصة بنوعها وكيفيتها إجابة سطحية . ولكن تعوزنا الاجابة عن السبب. وما زالت الاجابة عنه غامضة .

---

(١) مترجم من كتاب الارث العربي لفيليب حتي وآخرين طبع بمطبعة جامعة برنستون بنيوجرسي سنة ١٩٤٤

وأول العوامل التي يجب ملاحظتها في نشأة الفن الاسلامي هي الأحوال الاجتماعية والدينية في بلاد العرب في عهد النبي عليه السلام . فبالرغم من نفوذ الدين وآثاره الفعالة فى هذه الناحية في بيئته وغيرها إلا أنه كان بدائيًّا من الناحية الفنية .

كان العرب مجتمعاً بدائيًّا مكوّناً من الرعاة ما عدا القليل الذى استوطن المدن واشتغل بالتجارة ولم تتعد حياة العرب الصيد والاشتغال بالرعي في الصحراء صابقاً وكلاهما حياة منتقلة تتطلب البساطة في كل شيء كالأكل والملبس والمتاع كما أنها حياة خشنة تعتمد على مواد غير قابلة للكسر حتى لا تحطمها كثرة الارتحال على ظهور الجمال . لذلك لا تتطلب حياتهم الأواني والمواد الزجاجية التي لا تلائمها — ولا شك أن كل المنتجات الفنية الدقيقة التي وجدت في حياة العربي في القرن السادس مستوردة من الخارج كما تدل على ذلك أسماؤها. فكلمة نجّار وخزّاف وصانع الأسلحة والحباك أرمنية الأصل. وكلمة مصحف ونافذة وعقد وحداد حبشية الأصل ، وكلمة حرير فارسية المصدر ، ويظهر عدم تذوق العربي لفن النحت فيما ورد من إشارات على الأواني القديمة ، فيشبه عمرو (1) الشاعر القدير في مقدمة معلقته ساقي المرأة الجميلة بأعمدة رخامية ، وثدييها بصناديق عاجية ، وكان هذا الاتجاه بارزاً في الشعر الذي كان أعظم فنون بلاد العرب قبل الاسلام . وأكثر من ذلك لم تبلغ الأشياء المستعملة في الحياة اليومية من الدقة الفنية درجة تحاكي بها الطبيعة نظراً لانخفاض قيمتها كما تحكموا في مصائر أسرهم فاهتموا بالثروة الحيوانية كتربية الجمال والاغنام. لهذا أنف هذا الرجل العربي أن يجهد نفسه في صناعة أي شيء بيده . بل ترك ذلك الى من هو دونه منزلة كالمرأة والرقيق والأجانب واليهود فانحط مستوى الفنون إلى مستوى هذه الطبقة .

وقد بلغ من امتهان كرامة أصحاب هذه الحرف وتحقير شأنهم عند العرب أنه إذا أراد أحدهم أن يسخر من غيره عيّره بأنّ أحد أجداده قد اشتغل مع من هو دونه ، أي أنه

---

(١) هو عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي المعروف وصاحب المعلقة المشهورة التى يذكر فيها أيام بنى تغلب ويفتخر بهم . وقد وصف في بدء معلقته حبيبته في البيتين الآتيين : —

وثديا مثل حق العاج رخصاً حصانا من أكف اللامسينا
وساريتي بلنط أو رخام يرن خشاش حليهما رنينا

كان حدّاداً أو نساجاً ابن نساج ـ فرسوم (قصير عمراً)(١) التي رسمت بأمر خليفة أموي انحدر من أشراف مكة قديماً قام بصنعها فنانون من أصل غير عربي. ويذكر بعض المحدّثين من الرحالة الذين زاروا اليمن أن يهود صنعاء ما زالوا صنّاع تلك الناحية.

ولم تترك لنا ديانة المجتمعات العربية الأولى التي كان يحتمل أن تقدم أو تخلف لنا بعض النشاط الفني شيئاً. وقد عبد العرب الوثنيون في الجاهلية التماثيل بالقرب من الآبار والأشجار وخاصة الأحجار. ولازم هـذه العبادة الجاهلية نشاط في أحد فروع النحت وأطلق على التماثيل التي عبدوها أسماء أجنبية كدمية وصورة وصنم، وعبدوا اللاّت في شكل حجر مربع في الطائف، والجلسد(٢) في شكل قطعة حجرية بيضاء يعلوها حجر آخر اسود يشبه رأس الانسان إذا نظرت إليـه من قرب. أما الـكعبة فهي بناء متواضع جدًّا قد استدعى إليها عقب احتراقها نجار يوناني كان عابراً على ظهر سفينة أمام مينـاء جدَّة لإعادة بنائها وساعده في ذلك صانع قبطي.

هذا يدلنـا باختصار على كيفية وصول هـذا التراث الفني الى النبي «ص» والذي لم يتطوّر في عهده. وليس أدل على هـذه الظاهرة من أنه اعتمد في بناء منزله بالمدينة حيث كان يؤمه المسلمون ويعقدون فيه جلساتهم في حياته وبعد مماته على الأساليب الثقافيـة المادّية التي كانت سائدة في عهده. وكان لهـذا البناء أثر عظيم في الأبنية التي جاءت بعده في العصور التالية. فبنيت جميع المساجد بعد ذلك على نمط هذا المنزل البسيط بإيوانه في جانب من فنـاء المسجد ومظلته في الجانب المقابل لاقامة الصلاة تحتها وقد قبل النبي هذه الحالة الفنية في عهده وأكسبها مميزات جديدة كان لها أثر فعّال في تطوُّر الفن من بعده.

---

(١) بيت للصيد في بادية الشام في وادي بتم في شمال شرقي البحر الميت وعلى بعد ٥٠ ميلا شرقي عمان عاصمة شرق الاردن. وقد كشفه العالم النمسوي موزيل ١٨٩٨ ويحتمل أنه بني في عهد الوليد ابن عبد الملك بين سنتي ٧١٢ و ٧١٥ واتخذه ليكون مقرا لراحته ولهوه ويمتاز بنقوشه المختلفـة التي من أهمها نقش يمثل الملوك الستة الذين هزمهم الامويون

(٢) الجلسد اسم صنم كان يعبد في الجاهلية. وقد ذكره الجوهري صاحب تاج العروس في ترجمة كلمة جسد — على أن اللام زائدة

وقال فيه الشاعر بن بري البيت الآتي للمثقب العبدي، وذكر ابو حنيفة أنه لعدي بن وداع.

فباتَ يجتاب شقاري كما يقر من يمشي الى الجلسد

وركز النبي صلى الله عليه وسلم دعوته المقدّسة في الايمان بيوم البعث وهو يوم الحساب حيث يدعى كل فرد ليقدم ما عمله ، ويلقى عقابه في نار جهنم أو جزاءه في جنة النعيم أمام الله عزّ وجل المنزّه عن الشريك ، خالق جميع المخلوقات ، وقد تلقى النبي عليه السلام ما يتعلق بيوم القيامة وقدرة الله عزّ وجل من اللوح المحفوظ في السماء كما تنزّلت على من سبقه من الأنبياء وبلغه كلٌّ منهم ، وتنزّلت الى العرب على محمد عليه السلام بلغة العرب ، ولم يكن هذا النبي كموسى الذي أظهر المعجزات لفرعون وضرب الحجر ليتفجّر منه الماء. ولا كعيسى الذي أشفى المرضى وأحيي الميت بعد موته بأربعة أيام وأبرأ البرص وأطعم الخمس آلاف نفس بخمسة أرغفة وسمكتين . ولم يظهر النبي محمد في حياته بأنّ له قوّة خارقةً وإنما اصطفاه الله ليكون رسوله في الأرض ، وليبلّغ رسالته في بلاد العرب عن طريق قرآنه الشريف .

وكان لهذه المسائل الأربعة : الخوف من اليوم الموعود (يوم الحساب) والخضوع لله عزّ وجلّ — والعمل بما جاء به القرآن الشريف ، والنظر الى النبي كبشر ، أكبر الأثر ، لا في تطوّر الإسلام كدين فحسب وإنما في الفن الاسلامي . وأدّت فكرة الخوف من يوم الحساب الى صبغ الإسلام بروح التواضع . فساعة تقضى في الأعمال الصالحة أفضل من كنوز الأرض وزخرفها .

والتحف الفنية المستعملة في الأغراض العامة مهما بلغت قيمتها ما هي إلاّ رموز لعظمة هذه الحياة ومتاعها التي تغري الإنسان المتكبر بطبيعته لارتكاب الآثام. والاسلام كدين لا يحبّذ الترف ولا استعمال الأواني الذّهبيّة والفضيّة والجوهرات في داخل المسجد لتقديس الله إذ لا فائدة منها . ولا نجد فيه ما يشبه كنوز كتدرائيات العصور الوسطى من تحف وغيرها ما عدا الكنوز الفاطمية . كما اقتنع الدين بالمواد البسيطة المتواضعة كالنحاس والطين والملاط واللبن .

وكان لهذا الاتجاه أثر واضح في اختيار أرخص الأشياء كالجص لزخرفة أهم أجزاء المسجد وهو المحراب وقت أن استطاعت فيه ثروة المجتمع أن تتحمل شراء أنفس المواد له .

والاتجاه الآخر هو صبغ المواد الفنية بصبغة شرقية مسايرة لروح الدين في البعد عن

كل ما فيه ترف كما يقول الحديث « من يشرب في إناء من الذهب أو الفضة فانما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم » ولم يستعمل قدح من معدن في بلاط إسلامي حتى تلك التي تشبه الأقداح البيزنطية والساسانية واكتفت الطبقات الغنية باستعمال الخزف بدلاً من الذهب والفضة .

والترف من أخص خصائص الانسان ومن المتعذر ألا تجده في مجتمع غني امتد في اكثر الممالك التي ظهرت في التاريخ حبًّا للترف : ولم يتردَّد بعض الحكام المسلمين في تخطي قوانين المجتمع كما يشجع البعض الآخر للظهور بأسباب الترف والبذخ .

وعندما تمَّ تكوين مجتمع إسلامي تكامل الفن في القرن التاسع الميلادي وظهرت له خصائص خاصة كاستعمال البريق المعدني على الخزف محل الذهب ، والتطعيم بمواد رقيقة جداً من الذهب والفضة على البرونز والنحاس . في القرون التالية بعد ذلك .

وقد ظهر أثر تعاليم الدين في تطوُّر الفن الاسلامي إلى مدى بعيد جداً . ونظراً لعدم ادّعاء النبي المعجزات والقوى الخارقة لم يدع أي احتمال لتطوُّر الطقوس الدينية الاسلامية لتسير موازية لنظيرها في الفن المسيحي في العالم الغربي الذي اعتمد في تصوير حياة المسيح وما فيها من عواطف والعائلة المقدسة والقديسين على تقارير كنيستي الكاثوليك الرومانية والأرثوذكس اليونانية . ولكن عدم وجود مثل هذه المظاهر حول مؤسس الدين الاسلامي دعت الفنانين المسلمين إلى الاتجاه بفنونهم اتجاهات أخرى. ولو كان في العالم الاسلامي تماثيل فان تلك حالات خاصة لبعض الفنانين ، وأعظم المؤثرات التي نادى بها النبي (صلعم) كانت متصلة بالله خالق كل شيء كما جاء على لسان نبيه الكريم ولم يسمح لأحد من الصحابة في مشاركته في قوّته ، وكان لتطوُّر هذه الآراء على يد العلماء المتأخرين أثر كبير في تطوُّر الفن . ولم يتخذ النبي (صلعم) طريقاً واضحاً في تحديد موضوعات الفن ، ولم يعرها إلاَّ القليل من اهتمامه من الناحية الاجتماعية كما بينَّا سالفاً . أما اتجاهه نحو الفن فقد ورد في إشارته بشكل عام وهو في ذلك امتداد لوجهة نظر الاسلام نحو الجاهلية فقد حرَّم الأوثان في الوقت الذي حرَّم فيه شرب الخمر ولعب الميسر

ولا يوجد كتاب في الفن الاسلامي خالياً من الحديث المشهور « من صوَّر صورة فان الله

يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها » ويشار فيه أيضاً الى حديث ثان « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة » وكلا الحديثين حطا كبرياء وقدرة كل فنان على تقليد ما خلقه الله . ولم يقتصر الامر على ذلك بل شدد الله عذاب هؤلاء المصورين على لسان نبيه الكريم فقال « ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » وأدى ذلك الى انحطاط فن النحت وخاصة التصوير الشخصي. وفي مناسبة أخرى قال رسول الله ان أشد الناس عقاباً يوم القيامة لاعن النبي أو من يضلل الناس بدون علم وصانع التماثيل والصور . وعن أبي صحفة حرم النبي أخذ ثمن الدم أو ثمن الكلب أو الاكتساب من الفاجرة والمرأة الواشمة والموشومة والمراب والذي يتعامل بالربا ولعن المصور .

ومن الجدير بالذكر ازدياد الرغبة في تصوير الأشخاص عند ما تكاملت الظواهر الاجتماعية وانتشرت الديمقراطية وتحطمت القيود الاجتماعية التي كانت مفروضة على الفن وصناعته وذلك في القرنين الثاني والثالث من الهجرة . ومن ذلك الحين ظهر الاتجاه الاسلامي نحو الفن ولم تقتصر الفنون على العبيد بل انتقلت الى الكثير من الفنانين الأجانب الذين تركوا دين آبائهم ظهرياً واعتنقوا الاسلام . وقد ظهر هذا التحول الاجتماعي في ديوان شعر أبي العتاهية المعاصر لهارون الرشيد في أحد أبياته : وأصبح النساج المسلم أو صانع النحاس الذي يخاف الله ويتمسك بتعاليمه لا يخشى شيئاً كما أصبح صانع الأسلحة والحداد الذين كانا محتقرين في المجتمع العربي يفتخران بأن النبي داوود وسليمان كانا أجداده في هذه الصناعة .

وتدل الرسوم الآدمية على مدى ما وصلت اليه من الانحطاط الفني . وأبيح تصوير الاشكال الآدمية والحيوانية في المواضع التي يطأها الانسان بقدميه كالسجاد أو يجلس عليها كالوسائد . والفرش كما تمتهن كرامة الصور عند قطعها أثناء حياكتها ويقل من شأنها في الاماكن المظلمة كالدهاليز والحمامات وهي أماكن منعزلة لا تجذب الانتباه إليها ولا تدعو الى عبادة الأوثان وخصوصاً ما صور منها من الرسوم العارية في الحمامات والاماكن المنعزلة للاقلال من قيمتها وكانت رسوم الخطوط النوع الوحيد المسموح في رسم الصور الشخصية لغرض تربوي .

ويرى الفيلسوف الاسباني ابن عربي (١) في هذه الصور رمزاً حيًّا للعالم. فشبه الانسانية في هذا العالم التي تحركها قوة واحدة — هي الله — بالصور المتحركة وراء شاشة بيضاء فيظهر خيالها على الشاشة.

ويمكن تلخيص كراهية التصوير في المثلين الآتيين أحدهما سلبي ويتمثل في خلو المحراب من الصور والثاني ايجابي وهو عدم وجود تشريع يبيح حضور حفل عرس به صور وتتحدث الكتب المقدسة الاسلامية عن حفل عرس به صور وتتحدث الكتب المقدسة الاسلامية عن حفلات الزواج حين الكلام عن التشريع العام للحياة. فتناقش الأحوال التي يلبي فيها الانسان دعوة حفلة عرس والظروف المباح المرء حضورها. وفي الحالة الأولى لا يلبي فيها الانسان هذه الدعوة حتى لا تختلط النساء بالرجال ويشربون الخمر وينصتون الى الموسيقى ويستعملون الأواني الذهبية والفضية وحيث تعرض الصور المحرمة

ورسمت الصور ذات الابعاد الثلاث بطريقة تتفق وتعاليم الإسلام الاجتماعية فابتعدت عن الابعاد الخمس أو الست التي تتوافر في رسم الكائنات الحيّة. وتحوّلت كل حاسّة فيها عند التعبير عنها في رسم التصاوير إلى حالة آلية أكسبت الطراز الفنّ الإسلامي الذي نما في القرن العاشر مميزات خاصة اتسمت بها الفنون الاسلامية بعد. فجميع الأشكال الآدمية مستوية وتظهر كأنها أجزاء رقيقة متجاورة اقتطعت من المعدن أو الورق المقوّي كما هو مبين في رسم الفيل المشهور في نسيج سانت جوس بمتحف اللوفر. ويمتاز بألوان قطعه الزاهية. ومثلها صورة الطفل القافز ويستطيع الانسان أن يحرك خيطاً فتتحرّك الصورة ويظل هذا المظهر الآلي في العصر الاسلامي في تلك الصور المتناقضة الألوان المختلفة الأشكال

وقد استخدم الفنانون طريقة أخرى في رسم هذه الأشياء في العصور الأولى للاسلام قبل اختراع هذا الطراز المنبسط بعد القرن العاشر عندما عادوا الى استعمال الأشكال ذات الأبعاد الثلاثة فزخرفت الأواني الصلبة البعيدة الغور بأشكال خاصة لتصرف الناظر إليها عن

---

(١) هو محي الدين عبدالله بن عربي الفيلسوف الاسباني الذي عاش في المدة بين ١١٦٥ و ١٢٤٠. وقد ولد في مرسية وتعلم في أشبيلية ولما بلغ الثامنة والعشرين من عمره رحل الى مصر وبلاد العرب وبغداد والموصل وآسيا الصغرى ثم قضى باقي حياته في دمشق وهو صوفي مشهور.

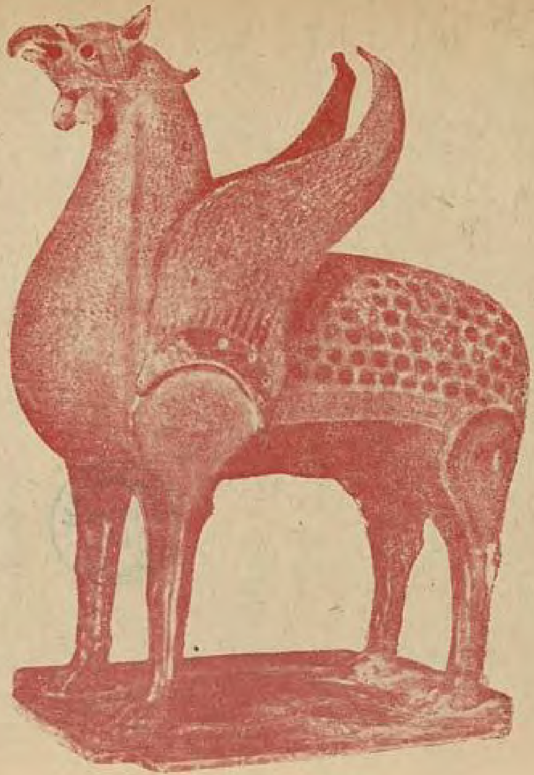

شكل (١)

عقاب من البرونز من القرن الحادي عشر وهو صناعة
مصرية ومحفوظ بكامبو سانتو ببيزا بايطاليا

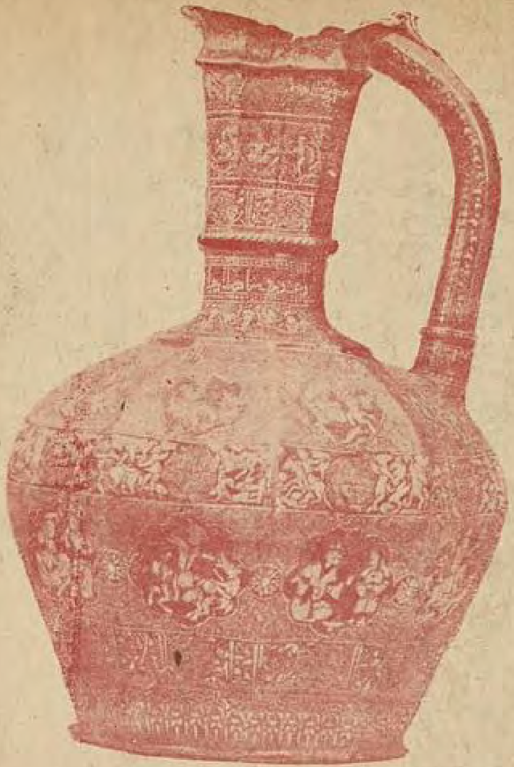

شكل (٢)

اناء من البرونز المكفت بالفضة من صناعة الموصل
في القرن الثالث عشر

حقيقة الاناء نفسه. ظلّت هذه الظاهرة واضحة في القرنين السابع والثامن من الميلاد كما يدل على ذلك الطائر المحفوظ في متحف برلين وعقاب سانت كامبو بيزا المشهور شكل (١) وفي كلا اللوحتين نجد زخارف محفورة لا علاقة لها بالطائر أو الحيوان نفسه كالفروع النباتية والدوائر الهندسية التي بداخلها حيوانات وطيور صغيرة جداً — كما على القطعة المحفوظة بمتحف برلين — بينما قطعة بيزا نجد عليها زخارف من حيوانات صغيرة وكتابات كوفية تحيط الطائر كله. وترى في هاتين الحالتين أن الزخارف ليست دقيقة ولا من الأهمية بمكان بل تمثل المرتبة الثانية — ولا تزال هذه الحيوانات سواء أكانت على أكواما نيلا(١) أو مباخر أو جزءاً من قاعدة نافورة جافة الشكل بعيدة عن رسوم الكائنات الحيّة.

وقد أمكن التعويض عن جمود وجفاف إناء بيروفسك بزخرفته بخمس رسوم آدميّة محفورة ومكفتة لاعلاقة مباشرة لها بشكل الاناء نفسه لكن امتازت هذه الزخارف بتنوعها وبريقها الذي يجذب الأنظار ويصرف الرائي عن شكل الاناء نفسه. شكل (٢)

كذلك يمكن تطبيق هذا على الأواني ذات البريق المعدني وهي أواني كانت ذات سطح جاف غير برّاق استطاع الفنان تخفيف جمود شكلها بتغطية سطحها بزخارف ذات بريق معدني كما هو مبين بالمقدر المغطى بزخارف على شكل تربيعات القاشاني المحفوظ في مجموعة دكتور مرش. وعلى هذا النسق أمكن تغيير جميع القطع ذات البريق المعدني بطريقة اسلامية بحتة فجاءت الرسوم الآدمية مستوية لا بعد ثالث فيها.

إذا أمكن الشخص أن يعرف هذه الظاهرة بوجهٍ عام فان ما يجب عليه قوله هو أن التحف الفنية الاسلامية متواضعة في حقيقتها وقد غطيت بزخارف مثلألئة سريعة الفناء وهي مادة تتكوّن من مادة قيمة متنوعة الشكل. فطبقة القاشاني الرقيقة اللامعة أو الخزف (الموزايكو) التي تغطي الأبنية المبنية باللبن والطبقة الزجاجية المتعددة الألوان التي تغطي الخزف والمينائي فوق المصابيح الزجاجية وتكفيت الأواني المعدنية بقطع صغيرة من الفضة أو الأسلاك الذهبية والوبرة الصوفية الذهبيــة أو الحريرية فوق أرضيــة من القطن، وهذه وأشباهها رسوم مجردة غير طبيعية وهي من خواص الفن الاسلامي وابتكاره.

محمد رجب البيلي

---

(١) أباريق من النحاس كانت تستعمل لغسل الايدي في العصور الوسطى في الكنائس الغربية

محمد اسعاف النشاشيبي

قضى محمد إسعاف النشاشيبي يوم الخميس ٢٢ يناير سنة ١٩٤٨ — ١١ ربيع الأول سنة ١٣٦٧ وحيداً في أحد مستشفيات القاهرة التي كان يحبها حبًّا جمًّا ، والتي كان يفد إليها كل عام من فلسطين فترتقب ندوات الأدب والعلم مجلسه حيث يكون الصدرَ فيه ، محدِّثا وراويا كأنما وعى تاريخ هذه الأمة العربية كله في صدره يرويه كأنه يقرأ عن كتاب ويقصُّه كأنه يتلوه من صحيفة. فقد خصَّه الله بذاكرة قوية وحافظة لم تنل منها الشيخوخة إلاَّ قليلاً .

وكانت زيارة النشاشيبي للقاهرة هذا الشتاء هي آخر زياراته ، فهل كان يعلم وهو يودِّع فلسطين المجاهدة في سبيل دينها وحقِّها وأرضها أنه وداع لغير عودة ، وأنها رحلة لغير رجعة . وأنه تركها والبأس يغلي فيها لا هرباً من الجهاد إذا دعا داعيه ، ولا استسلاماً للنجاة ، ولكنه تركها مستشفياً بطب مصر الآسية ، ومستمتعاً بسماء مصر الدَّافئة الضاحية ولكن الطب خانه هذه المرَّة . . فلحوناه : —

والناس يَلحَون الطبيب وإنما　　خطأ الطبيب إصابة الأقدار

كان مجلس النشاشيبي في ندوة فندق « الكونتننتال » مجلساً يملأ السمع والبصر والفؤاد ، ولو أنَّ الرجل في ذاته كان ضئيلاً في جسمه نحيلا في شكله . ولكنه كان يفرع الرجال الطوال بعوارفه ومعارفه ، كأنما كان الشاعر العربي يتحدَّث بلسانه في قوله .

إذا كنتُ في القوم الطوال علوتهم　　بعارفة . . حتى يقال طويل

ولا أذكر أنني تخلفت عن مجلس النشاشيبي في « الكونتننتال » في السنوات الأخيرة إلاَّ قليلاً مما ألحت به ضرورات لم أستطع لها دفعاً . وكان أحبَّ الى نفسي أن أبتدر مكاني في الندوة حيث تتحلق الحلقة وتتسع الدائرة ، ويأتي زائر بتفسح بكرسيه في المجلس فنفسح

له ، ثم نأخذ بأطراف الأحاديث بيننا ، كلٌّ على قدر ما وهب الله له من موهبة الكلام فاذا النشاشيبي يوجه الحديث في المجلس ويديره ، وإذا به يصل الحديث بالقديم ، والحاضر بالماضي ، وإذا هذا الرجل الضئيل المنزوي يتحرّك كأنما مسّه شحنة من كهرباء ... فتشيع الكهربائية في عينه اللامعة ، وفي صوته الجهوري وفي ألقائه الذي يهتز فيه ويضطرب ويقوم ويقعد كأنما يريد أن يجسّم المعاني بهذه الحركات الإنفعالية التي لم أشهد لها ضريباً فيمن سمعت من الخطباء . .

على أنّ هذه الجوانب الشخصية من أسعاف النشاشيبي ليست غرضاً لي في هذا المقال ، فعند كل أديب اتصل به سيلٌ منها لا ينقطع . وهي جوانب لم يفتقدها إلاّ الذين دانوه وأحسّوا أنهم ودّعوها إلى يوم النشور . . . وما تعطلت دورة الأرض ولا تعوّق مسير الحياة ولا خسف القمر لموت مخلوق .. حتى الأنبياء على جلال رسالاتهم . فالحياة ماضية ، وهذه ندوتنا تنعقد كما هي — فإنّ الناس لا يموتون لموت واحد من البشر ... ولكنها عطلت من النشاشيبي وأصبحت منه خلاء . ونحن من السابقين على الأثر . . فلم يبقَ إلاّ الجانب العام من حياة الرجال ، وهو أبقى على الأجيال .

* * *

لقد أسهم النشاشيبي في المكتبة العربية ببضعة من الكتب ، تمتاز جميعها إلاّ كتابه « الإسلام الصحيح » بصغر أحجامها وعظم أقدارها . وكلها تدور حول الفكرة العربية التي ملكت على الرجل منافذ حسه . والعربية عند النشاشيبي تتمثل في إثنين : لغة العرب ورجال العرب . فأينما قلبت كتبه فلن تجد فيها غير « عربي » يشيد به النشاشيبي ويرفعه الى مراتب الخلود ، وغير لغة يهون على النشاشيبي أن يموت قبل أن يشهد يوم مماتها . وحسبك أن تستعرض كتبه — أو تقرأ عناوينها على الأقل — لتعرف مبلغ صدق هذه النظرية . فمن كتبه : — « كلمة في اللغة العربية » و « قلب عربي وعقل أوربي » و « العربية وشاعرها الأكبر » و « اللغة العربية والأستاذ الريحاني » و « العربية في المدرسة » . ومن كتبه في أبطال العربية والاسلام : — « البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد

شوقي » و « العربيـة وشاعرها الأكبر أحمد شوقي » و « مقام ابراهيم » يقصد به البطل العربي المجاهد : إبراهيم هنانو

لقد حصل النشاشيبي في العربية ملكة سليمة قويمة لم تأته عفواً ولم تهبط إليه اعتباطاً. ولـكنه نالها بعـد الـكد والجد ، والقراءة والحفظ ، والبصيرة والفهم ويقول في ذلك بعبارته اللطيفة : و (إني لا أدرِ كيف يبغون أن يبلغ الفتى ويفصُح ، ويبـذ الأقران ويبرع ، ويبطش في العلم بأرحب باع ، ويحل منه في القَبَل اليفاع وهو لم يدأب ولم يَشْق ولم يطل وقوفه في الشمس ليطول وقوفه في الظل ، ومن الذي أنبأهم أن الاجادة في المقال قريبة المنال)(١).

وأكاد أجزم أن غرض النشاشيبي من كتابه « كلمة في اللغة العربية » هو حث الأدباء على السهر في التحصيل ، وحض الشباب على الدأب في قراءة التراث العربي ، حتى لا يجيء آخر الزمان أديب مفتون أو شاعر مجنون أو كاتب ضعيف فيزعم لنفسه أدباً أو شعراً ، وهو معطل الأداة قليل المحصول عديم المعرفة بالأصول . ويظن المسكين أن المكانة الأدبية تُنال بألفاظ تسوّد بها الصفحات .

وإذا كانت العربية صعبة كما يشهد الذين نفذوا إلى أعماقها من أبنائها ، فان النشاشيبي كان يرى (أن الصعوبات في اللغات دليل خير ودليل سمو) (٢) . ومن أجل هـذا سهر من أجل العربية . وعنَّى نفسه بها طول حياته ، ونبش — تقريباً — كل كتبها . حتى لم يكن يند عنه كتاب أو يشذ عن محصوله بيت من الشعر أو طرفة من الحديث أو حادثة من التاريخ

ولا أدل على عناء النشاشيبي في سبيل العربية وتعبه في تحصيلهـا من أنه لم يكد يفلت من يديه كتاب من كتبها إلاّ قرأه وحفظ منه وروى عنه . ولقد بدا ذلك جليًّا في مجموعة « نقل الأديب » التي كان ينشرها في مجلة « الرسالة » على فترات تتقارب حيناً وتتباعد حيناً آخر ، حتى بلغ مجموع ما نشر منها الى عدد ١٩ يناير سنة ١٩٤٨ (٩٦٩) نادرة جمعها على طول العمر كله واختـارها من بين مئات من الـكتب من أمثال « عيون الأخبـار » و « الحيوان » و « شرح نهج البـلاغة » و « معجم البـلدان » و « خاص الخـاص »

---

(١) « كلة اللغة العربية » صفحة ٢٢ . مطبعة بيت المقدس (٢) المصدر السابق ص ٢٣

و« اليتيمة » و « تاريخ الطبرى » و « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » و « الأغاني » و « سيرة ابن هشام » و « البيان والتبيين » و « نهاية الأرب » و « محاضرات الأدباء » و « النجوم الزاهرة » و « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » و « تاريخ بغداد » و« عيون الأنباء في طبقات الأطباء » و « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » و « نفح الطيب » و « بدائع البدائه » و « الكنايات » و « وفيات الأعيان » و « الروضتين » و « الضوء اللامع »

ولا يظنن ظان أن هذا الاختيار الحافل من تراث زاخر بالأخبار والنوادر والطرائف مطلب يسير أو عمل هين ، ولكنه شيء يدل على ذوق مختاره أولاً : وعلى أهدافه ومراميه ثانياً : وعلى مدى نيته من الانتفاع به ثالثاً : ولعلها حيرة أية حيرة أن تقف في روضة زهرة لتختار أطيب ما فيها شكلاً ولوناً وعرفاً .... وقديماً عبر الشاعر عن مثل هذه الحيرة بقوله : —

تحير في الرياض فليس يدري   أيجنى الروض أم يجنى الأقاحا

ولكن النشاشيبي وقف في روضة الأدب العربي والتاريخ العربي الحافل بأمجاده وحكاياته ... فلم يتحير في الرياض ، ولكن هدته بصيرة عربية وفطرة عربية وهمة عربية إلى أن يقطف أطيب ما في الرياض : وهو في ذلك ليس متزمتاً ولا متوقراً ، ولكنه قد يخلع التوقر أحياناً فيروي أطيب الفكاهات ، وألذ شعر المتاع ، حتى ليسأل سائل كيف يروي النشاشيبي في « نقله » قول سعيد بن حميد :

تمتع من الدنيا فانك فاني   وإنك في أيدي الحوادث عاني
ولا يأتين يوم عليك وليلة   فتخلو من شرب وعزف قيان
فاني رأيت الدهر يلعب بالفتى   وينقله حالين مختلفان
فأما التي تمضي فأحلام نائم   وأما التي تبقى لها فأماني (١)

وحتى ليسأل سائل آخر كيف يروي النشاشيبي « في نقله » قول حنين بن اسحاق « إنه اتفق له هذه اللفظة الوجيزة الشريفة البديعة التي لم أسمع للبلغاء مثلها في الجمع بين التجنيس

---

(١) نقل الاديب : مجلة الرسالة العدد ٧١٨ ص ٣٩٩

والطباق والترصيع مع حسن المعنى وجودته وصحته وهي : — قليل الراح صديق الروح وكثيره عدو الجسم » . (١)

نعم ! كان لاسعاف النشاشيبي مثل هذه الروايات في « نقله » ، وكثيراً ما كنت أعدها عليه .... ولكنه نشر كثيراً من فضائل النفس العربية حتى خيل اليّ أنه كان يتحدى بها نفوس الناس جميعاً من غير العرب . وكأنه كان يتعمد ذلك تعمداً في « نقله » . ولا أدل على ذلك من هذه الملحة التالية : —

تذكرون يوماً بحضرة محمد بن اسماعيل من ملوك بني نصر في الأندلس معنى قول المتنبي :

آيا خدَّد الله وَرْدَ الخدودْ وقدَّ قدودَ الحسانِ القدود

وقول امرىء القيس :

وإن تك قد ساءتك مني خليقةٌ فسُلّى ثيابي من ثيابكِ تنسل

وقول ابراهيم بن سهل الاسرائيلي :

إني له من دمي المسفوك معتذر أقول حمَّلتهُ من سفكه تَعبا

فقال بديهاً على حداثته : — بينهم ما بين نَفَس ملك عربي ، وشاعر عربي ، و نَفَس يهودي تحت الذمة ... وإنما تنفس النفوس بقدر همها) (٢)

وهذه الموازنة الخلقية بين فضيلة النفس العربية والنفس اليهودية كانت تظهر في النقل من حين الى حين .. ! فقد نشر في الرسالة سنة ١٩٤٦ عدد ٦٦٧ بعنوان « وأبناء اليهود » هذه الطرفة التالية : — (قال الصفدي : كان أبو البركات بن ملكا يهوديًا وأسلم ، وكان كثيراً مايلعن اليهود ، قال مرة بحضور ابن التلميذ : لعن الله اليهود . فقال : نعم وأبناء اليهود ؟ فوجم أبو البركات لذلك وعرف أنه عناه ...)

***

أما تعصب النشاشيبي للعربية لغةً وجنساً فقد كان يبين دائماً من كلماته وخطبه ومقالاته فقد كتب كلمة في مجلة الرسالة عن « اللغة العامية والحروف اللاتينية بامضاء «السهمي» (٣)

---

(١) مجلة الرسالة ص ٢٠٢ عدد ٧١١ (٢) مجلة الرسالة عدد ٧١١ ص ٢٠٢
(٣) الرسالة عدد ٧٣٠ سنة ١٩٤٧

حمل فيها حملة من نار على الدعاة للحروف اللاتينية ، ولم يكن في هذه الحملة النارية غير راد عن كلام قديم للشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة « الضياء » .

وقد بانت هذه الروح قويةً في الكلمة التي عنوانها « لبنان والعربية » التي كتبها بمناسبة إنعام رئيس جمهورية لبنان عليه بوسام الاستحقاق المذهب ، حيث قال : (وإنا أمم اللسان الضادي لعرب ، وان لغتنا هي العربية ، وهي الارث الذي ورثناه ، وإنا لحقيقون ، والآباء هم الآباء واللغة هي تلك اللغة بأن نقيَ عربية الجنس وعربية اللغة — نقيَ العربيتين مما يضيرهما أو يوهنهما) (١)

ولقد مني الجنس العربي بمحنة اليهود كما مني بهم قبل الاسلام وابان انتشاره ، فصبر العرب لهم وصابروا ورابطوا لأنهم يؤمنون بأن الله مع الصابرين ، وقد لا أعرف أن النشاشيبي اشترك مع المجاهدين بمال لأنه لا يعالن بمكرمة ، أو اشترك معهم بسيف لأن ثلاث علل قاسية قد اصطلحت عليه فهدته في آخر العهد هدًّا . ولكنني أعرف أنه كان يوجه قلمه في كل مناسبة . ولسانه في كل فرصة ، وخاصة حين أعلن قرار تقسيم فلسطين . فاذا « نقل الأديب » كله في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٧ يدور حول الجهاد والجلاد والاستشهاد وإذا النفس العربية الكريمة المجاهدة تظهر في مثل هذه الرواية الشعرية عن «عمرو بن براقة» حيث يقول :

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم
متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حميًّا تجتنبك المظالم

وإذا « نقل الأديب » كله في الأسبوع الثالث من ديسمبر الماضي يحمل هذه العناوين « أمثال » في الشجاعة العربية ، « أصيب زوجها وأخوها وأبوها » و « الجنة تحت البارقة » «نحن والله أهل الحرب » « الاّ بحيث ترى المنا بأسودا » « فعليكم بالجهاد » « عن أحسابكم ذودوا » كذبتم وبيت الله لا تأخذونها » « نساؤهم كرجالهم » « فأنا أرابط حتى أموت »

وقد برع النشاشيبي في اختيار العناوين لكل نادرة من نوادر « نقل الأديب » ليكون العنوان أدل على الغرض منها وأنفذ الى القصد إليها . وكان يتخير العنوان أحياناً من النص نفسه . وترى ذلك واضحاً في كتابه « البستان » الذي جمع فيه ـ لتلاميذ المدارس ـ أنضر

---

(١) مجلة الرسالة عدد ٧٢٧ سنة ١٩٤٧

ما في الروضة العربية من ورود . وكذلك لم يكن توفيقه في عناوين « النقل » بأقل من توفيقه في اختيار « النقل » نفسه .

ولم يكن تعصب النشاشيبي للعربية غفلة منه عما للثقافة الأوربية من قيم . فقد كان يعرف الفرنسية ويعرف أحسن ما فيها للعقل والعلم والحضارة . وكان يرى أن الاكتفاء بما نحن فيه لا يهيئنا – كأمة لها ماضٍ مجيد – أن نقتعد مقاعد الغرب اليوم في المزدحم العالمي ، وكان يرى أن الأخذ بأسباب العلم الصحيح – كما فعل الغرب اليوم – هو الطريق الموصل بالتقرب إلى استعادة مجدهم . وكان يعالن بذلك في مجالسه وفي كثير مما يكتب ، حتى كان كتابه القيم : — (قلب عربي وعقل أوربي) الذي يقول فيه : — (تلكم مدنية الغرب فالخير كل الخير في أن نعرفها ، والشر كل الشر في أن نجهلها ، وإنا إذا عاديناها وهي السائدة الساطية استعلتنا ، وإنا اذا نابذناها ونبذنا عليها حقرتنا ، وهي مدنية قد غمرت الكرة الأرضية . فليس ثمة عاصم وإن أويت الى المريخ)(١) ويقول في موطن آخر : (فالعربي الذي يكرّه الينا هذه المدنية — يعني الغربية — ويثلب علمها ونظامها وفنها ، ويسخر من روّادها لا يروم – وحياتكم – أن نحيا في هذا الوجود أو أن نسود ، بل يريد أن نبيد أو أن نعود في الناس مثل العبيد) (٢)

وقد يظن من يرى تعلق النشاشيبي بقديم العرب وجنوحه الى الغريب من الأساليب وميله الى رواية الأخبار أنه رجل قديم النزعة رجعي الفكرة ، ولكنه – رحمه الله – كان جامعاً بين القديم والجديد ، حتى لقد استوى منه مزاج عجيب خاص يجمع بين عربية القلب وغربية العقل . . . . وما أحوجنا في هذه الأيام الى قلوب عربية في عقول — لا في عقليات — أوربية .

أحسن الله الى اسعاف النشاشيبي قدر ما أحسن الى العروبة لغة وجنساً .

محمد عبد الغني حسن

---

(١) قلب عربي وعقل أوربي . ص ١٣ (٢) المرجع السابق . ص ١٥

حقائق

عن الكوليرا

﴿ تعريف المرض ﴾ — إسهال تسممي يعقبه جفاف .

﴿ تاريخه ﴾ — يرجع إلى أقدم العصور . نقله المستكشفون الانكليز والفرنسيون والهولانديون والبرتغاليون الى العالم الغربي في القرن السادس عشر . واستمر وباء سنة ١٨١٧ ست سنوات . ووباء ١٨٢٦ إحدى عشر عاماً . وأول من عالج المرضى بالمحلول الملحي الدكتور لاتا عام ١٨٣٢ . وأول من عرف علاقة انتشار المرض بمياه الشرب الدكتور جون سنو من بئر شارع برود بلندن عام ١٨٤٨ وأول من اكتشف ضمات الكوليرا الدكتور كوخ بمصر عام ١٨٨٣ وعارضه بتنكوفر وحاول تكذيبه بأن شرب سائلاً به مزرعة لضمات الكوليرا فأصيب بإسهال خفيف هو في الحقيقة كوليرا بسيطة ولكن لم تعتبر الإصابة كوليرا وقتئذ . وكرّر امريخ نفس العملية محاولاً تفنيد مزاعم كوخ فأصيب بالمرض ونجا بأعجوبة . وأول من عمّم طعم الكوليرا للوقاية هو (فران) بأصبانيا عام ١٨٨٥ . وأول من استعمل المحلول الملحي المضعف في العلاج هو (روجرز) عام ١٩٠٨ وإليه أيضاً يرجع فضل استعمال الثقل النوعي للدّم دليلا على كمية السائل الواجب اعطائه للمريض . وفي سنة ١٩١١ لوحظ بالولايات المتحدة أنّ كل سفينة قادمة من جنوب أوربا كانت موبوءة بالكوليرا . وقد حصلت إصابات بالموانىء الأمريكية ولكنها أخمدت حيث خبّت نيرانها

﴿ الميكروب ﴾ — ضمات الكوليرا من فرع الحلزونيات وأوفق درجة حرارة لنموها وتكاثرها هي ٣٧° مئينية . وضمات الكوليرا لا تتأثر بمركبات السلفا ولا بالبنسيلين وهي تختلف في تأثرها بالاستربتوميسين وتبقى الضمات حيّة على الفواكه والخضروات الرطبة لمدّة

تتراوح ما بين ٤ و ٧ أيام . وعلى الملابس الرطبة لمدة خمسة أيام . ويقال إنها تعيش مدة طويلة في مياه البحار المالحة .

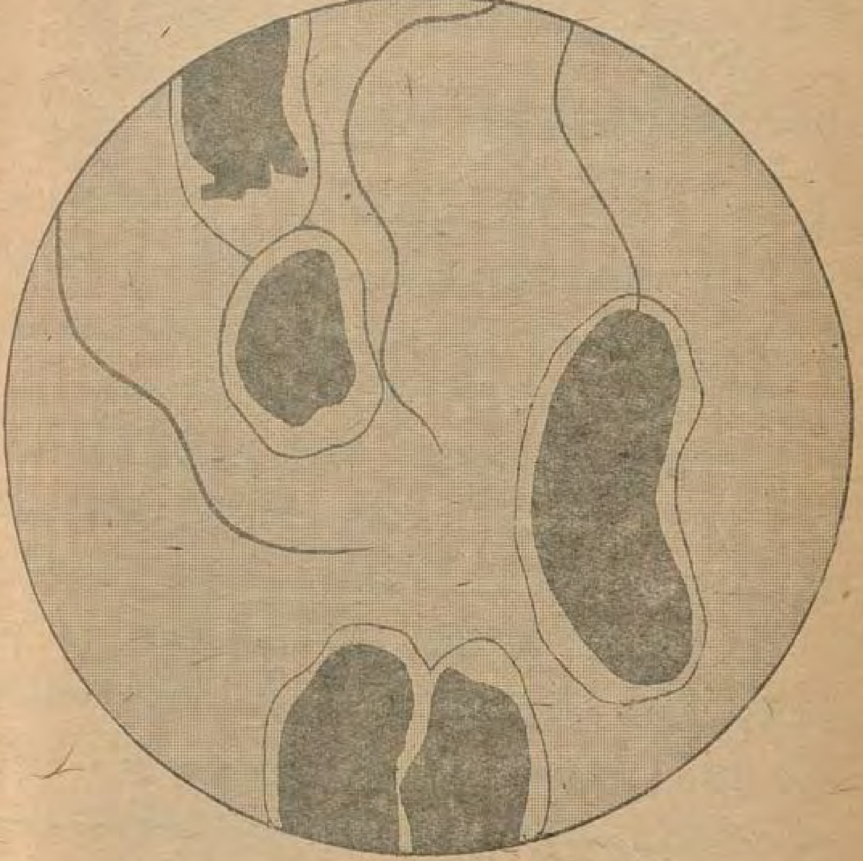

ضمة الكوليرا مكبرة بالمجهر الكهربي

وتشاهد الضمة مكونة من جسم قاتم داخلي « سيتوبلازم »
وجدار خارجي شفاف وذنب (هو جزء من السيتوبلازم)

والضمات تحت المجهر الكهربي تظهر بحجم ٥ و ٤ سم الواحدة مكونة من غشاء خارجي شفاف وجسم داخلي معتم وينتهي بذنب يخترق الغشاء الخارجي وقد يبلغ طوله العشرة سنتيمترات أو أكثر .

﴿تنوّع الضمات﴾ — هناك أنواع كثيرة أشهرها ثلاثة مسماةٌ بأسماء ثلاثة أطبّاء يابانيين هم (أنابا) و (أجاوا) و (هيكوجيما) ولا يبعد أن تفقد الضمات خاصيتها المرضية بمرورها بأمعاء أشخاص محصنين طبيعيًّا وحيث تمكث مدداً طويلة تسترد بعدها خاصيتها المرضية إذا ما توفرت ظروفها .

﴿سم الضمات﴾ — حينما كان منشأه فله خاصة امتصاص السوائل من جدر الأمعاء . وتختلف الضمات في شدّة سمها أو عدمه .

﴿الحصانة﴾ — تختلف باختلاف الضمات وحالة غشاء الجهاز الهضمي وحموضة العصارة المعدية وعوامل أخرى غامضة ، والإصابة الواحدة تكسب مناعة نسبية لأقل من سنة . والطعم بالضمات الميتة يكسب حصانة لمدةٍ أقل .

﴿وبائية المرض﴾ -- تحصل الاصابة بالمأكل والمشرب عن طريق مريض أو حامل المرض . والوقاية من هذا المرض أسهل بكثير منها في غيره . وربما كان الجهل والفقر وتكاثف السكان من أهم عوامل انتشار المرض . ومن ثمَّ كان تحسين الحالة الاجتماعية وتعقيم مياه الشرب ومراقبة الأغذية وإيجاد المجاري العامة وإبادةِ الذُّباب كلها وسائل كفيلة لمنع المرض. وعلى ذلك فمنع الكوليرا مسألة اقتصادية أكثر منها طبية :

ولا تظهر الكوليرا بشكل وبائي دائماً . فهناك حالات فردية كثيرة . وهذه الأخيرة هي سرّ استمرار المرض . وحامل المرض خطر كفريسته . وأوبئة نصف الكرة الشمالي تحصل عادةً في الفترة بين يونيه واكتوبر . وللرطوبة دخلٌ في ذلك . كما أنَّ للجفاف وشح المياه دخلٌ آخر غير مباشر لسهولة تلويث المياه القليلة الموجودة . وتصل نسبة الاصابات الى ٢٠ ٪ أحياناً بين السكان . وقد تزيد عن ذلك .

﴿منشأ الوباء﴾ — لازال هذا الموضوع غامضاً . ولا بدَّ من أن تكون هناك وسيلة آدمية تصل الأوبئة ببعضها . فقد يكون ذلك عن طريق حامل المرض أو تكاثر الضمات بشكل غير معروف وفي بيئةٍ غير معروفة أو انتقال المرض بشكل خفيف غير واضح من شخص الى آخر .

وربما يكون تلوث البرك والمستنقعات والترع البطيئة أخطر عامل في نشر المرض الذي يظهر وقتئذ في شكل فجائي ولمدة قصيرة . وطبيعي أنه بمجرد انتشار الوباء أصبحت كل منطقة بلغها المرض بؤرة جديدة . وتلوث المياه في هذه الحالة يكون بالتبرز بواسطة المريض أو حامل المكروب أو غسيل ثيابهما أو استحمامهما . وقد تستمر الضمات حية في البراز أو المياه عدة أشهر . والاستحمام في المياه الملوثة عامل آخر في نقل المرض .

وهناك وسائل أخرى في نقل الوباء كالبلح في وباء العام الماضي بالقطر المصري والذباب والحشرات كما حصل في وباء الصين عام ١٩٤٥ ووباء هذا القطر أيضاً . كما أن هناك عوامل أخرى كغسل الخضروات والأطعمة والأواني في مياه ملوثة وأكل الخضروات النيئة المسمدة بسماد ملوث بالكوليرا وتعيش ضمات الكوليرا أسابيع بل أشهر على الأغذية الرطبة أما الأتربة فلا أهمية لها في نشر الوباء . والمصافحة وما شابهها عامل آخر في نشر الوباء .

واذا كان الانسان وسيلة انتشار المرض الوحيدة فلا بد وان الضمات تتخذ لها وكراً في أمعائه أو مجاريه الصفراوية . والغريب أن فحص براز هؤلاء في فترة خلو المنطقة من الوباء قلما يظهر نتيجة ايجابية . ولا يزال قيد البحث موضوع علاقات الضمات المرضية والضمات الطفيلية . أما أثناء الوباء فنسبة حاملي المرض قد تصل الى ٢٠ ٪ بين المخالطين . وقد توجد الضمات في براز المرضى لمدة ٤٤ يوماً . وان كانت الغالبية (٩٧ ٪) تصبح خالية من الضمات بعد مضي شهر . وقد انعدمت الضمات في براز المرضى الصينيين عام ١٩٤٥ بعد العشرة أيام إلاَّ نادراً . وطبيعي أن لدقة الفحص ووسائل البحث وتمحيص نوع الضمات دخل كبير في قيمة النتيجة .

* * *

والثابت أن حامل المرض السليم والناقه والمصاب إصابة خفيفة عابرة أخطر وسائل انتقال المرض من المرضى أنفسهم . وقد بلغت نسبة من أصيب بطريق حامل المرض في نابلي عام ١٩١١ حوالي ٩٠ ٪ وحامل المرض أهم وسيلة لنقل المرض بعيداً عن بيئته . ولا يبعد أن تكون الاصابة بالدسنتاريا أو التلبك المعوي أو الاسراف في شرب الكحول أو تناول المسهل سبباً حافزاً لظهور المرض في بعض حامليه .

﴿ مواطن الكوليرا ﴾ – الهند . اندونسيا . اليابان وأكرانيا . أما في الهند فتتراوح الوفيات السنوية من هذا المرض بين ١٠٠ الف و ٣٠٠ الف نسمة . ومع ذلك فهناك حالات كثيرة لم تدخل ضمن ذلك بسبب عدم التبليغ عنها . وفي عام ١٩٤٣ حصل وباء كوليرا في فرموزه بسبب رداءة الحالة الصحية نتيجة للحرب . وفي عام ١٩٤٠ ظهر الوباء بشدة في الصين . وفي عام ١٩٤٣ أصيب الجيش الالماني بالوباء في اكرانيا .

﴿ التغيرات المرضية ﴾ جفاف وزرقة مع تجعد الجلد وغور المقلتين والحدقين والتواء الأطراف . ويمتاز هذا المرض بقلة تغيراته المرضية لأنه كما وصفناه اسهال تسممي مع جفاف . أما الدم فقاتم لزج . وأما الامعاء الدقاق فمحتقنة أو متقرحة أحياناً وتحوي البراز الكوليري وقد تصاب الحويصلة الصفراوية أيضاً . ويحتقن الكبد وقد تتضخم غدة التيموس وتتحلل بعض الغدد فوق الكليتين وقد تحتقن أو تلتهب الرئتان . أما الكليتان فتتمدد أوعيتهما الشعرية ولكن التغيرات فيهما لا تتناسب مع خطورة هبوطهما .

﴿ عوامل الاصابة ﴾ – لا يصاب بالمرض كل من تعاطى ضماته في الطعام أو الشراب . وربما كانت أهم موانع الاصابة حموضة العصارة المعدية وسلامة الامعاء ووجود حصانة طبيعية . وقد سبق أن ذكرنا مهيئات الاصابة ولا يبعد أن يضاف اليها نقص الفيتامينات وعدم أكل اللحوم . ولما كان تكاثر الضمات واختفاؤها في الامعاء سريعاً وقصيراً فمن المتعذر نسبة الاختفاء الفجائي الى تكوين حصانة دموية . ولما كان بقاء الضمات بالامعاء قصير المدة ، فمن الراجح جداً أن تكون أعراض المرض ناجمة من افرازات سامة من الضمات . والواقع ان اعراض الكوليرا كثيرة الشبه بتسمم معوي حاد . ولما كان المرض قليل الحمى أو عديمها وكان البراز لا يحوي عادة دماً أو صديداً كما أن المريض لا يشكو عادة زحاراً أو مغصاً فان التهاب الامعاء لا بدّ وان يستبعد كسبب من أسباب أعراض المرض . والاحتفاظ بالذاكرة وسرعة الشفاء دليلان على عدم وجود تسمم عام . أما كيف تمتلىء المعدة بالسائل فقد يكون بطريق التفريغ العكسي للامعاء . وأغرب من هذا وذاك عدم العثور على ضمات المرض في براز وقيء بعض الحالات الشديدة . ووجودها بكثرة في بعض الحالات البسيطة . ومن اليسير تفسير أعراض المرض بفقد السائل وضياع المعادن كالكلورين والصوديوم والجير .

فتقلصات العضلات مثلاً نتيجة الجفاف وقلة الكلورين . أما الصدمة فتكون نتيجة قلة افراز الادرنالين أو وجود الهستامين أو حساسية خاصة .

* * *

﴿ **الأعراض** ﴾ احتفظ مرض الكوليرا بأعراضه مئات السنين . فلا تغيير فيها ولا تبديل. وتختلف حدة الاصابة وخفتها بتعداد الضمات التي تناولها المريض ونوع هذه الضمات وسن المريض وكيفية العناية به . ولم يثبت للآن أثر السم الداخلي في احداث الجفاف واستنزاف المعادن ورفع الحموضة الدموية . ودور التفريخ حوالي ثلاثة أيام .

وقسمت الاصابات بحسب شدتها الى خفيفة وشديدة . ويبدأ المرض فجأة بقيء واسهال وقد تبلغ كمية القيء والاسهال ثمانية لترات أو ما يعادل حجم الدم كله . وهذا الفقد يجعل افراز البول مستحيلاً . واستنزاف الكلورين يقلص العضلات بالاطراف والجدار البطني فينشأ الألم الشديد . وطبيعي أن يشتد الظمأ الذي لا يطفئه الشراب لأن هذا الأخير سرعان ما يتقايأ . ويلازم المريض فواق ويمتقع لونه أو يزرقّ . ويذهب سمعه ويصيب أذنيه الطنين . ويخفت صوته أو يختفي . ويظهر بالمسماع احتكاك البلورا وغشاء القلب الخارجي ولقد يوضح اليرقان مع انحطاط وخمول . وتنكمش الأجزاء الرخوة بالجسم فتغور المقلتان والشدقان . ولا يصحب هذا المرض ارتفاع في الحرارة إلاَّ قليلاً بل قد تنخفض الحرارة عن الحد الطبيعي . ثم تظهر أعراض الصدمة المصحوبة بهبوط في دورة الدم الطرفية فيسرع النبض ويضعف ويختفي كما يهبط الضغط الدموي فيتعذر قياسه . ثم يغشى المريض غيبوبة تنتهي في الحالات الشديدة بالوفاة نتيجة لزيادة الحموضة الدموية والتسمم البولي . وقد يظهر طفح أرتياوي وحمى شديدة وتقلصات . أما الحالات التي تنتهي بالشفاء فطبيعي ان تبدأ في التحسن من حيث القيء والاسهال ونوع البراز والنبض والضغط الدموي وكمية البول وذلك بسرعة مدهشة .

ويقال ان هناك حالات خطيرة يموت فيها المريض فجأة قبل ظهور الأعراض . كما أن هناك حالات خفيفة قد لا يشعر فيها المريض بشيء غير عادي أو بوعكة خفيفة كاسهال

بسيط. ولا شك أنه كلما أسرع في اعطاء الجسم سوائل نظير ما فقده اياها ، كلما كان الشفاء مضموناً وسريعاً . وحينئذٍ يكون التحسن شاملاً كل نواحي الأعراض السابقة . وارتفاع الحرارة عقب اعطاء السوائل نتيجة عادية لعدم نقاوتها .

﴿ المضاعفات والمعقبات ﴾ — قليلة وهي الالتهاب الرئوي والنكفي والقرني والغنغرينا والانحطاط العصبي وقلة الفيتامينات والسدة الدموية والاجهاض .

ومن خواص الكوليرا البراز المشبه عادةً بمغلي الأرز ذو الرائحة الزلالية والحاوي للضمات المرضية . وفقد سوائل الجسم يحدث لزوجة في الدم وما يصحبها من زيادة كرياته الحمر والبيض . فقد يصل تعداد الأولى إلى ثمانية ملايين والثانية الى ثلاثين الفاً . ويرتفع ثقل الدم النوعي من ١ر٠٥٦ إلى ١ر٠٧٠ وقد بلغ في وباء الصين الأخير ١ر٠٧٦ . ويرتفع دليل الحموضة الدموية الى حوالي ٧ر٠٧ وكمية البيكربونات الى ٨ر٢ ويوجد الزلال في البول .

﴿ الانذار ﴾ — تتراوح مدة الكوليرا من ثلاثة الى خمسة أيام . وتختلف نسبة الوفيات تبعاً للاسعاف والعلاج . فقدبلغت في الصين أخيراً (تشونكنج) ٥ ٪ بينما هي في غيرها ٧٠ ٪ .

وما أكثر الحالات البسيطة التي تحصل أثناء الوباء وتمر مستترة . وكل مايقال عن وفيات هذا المرض انها يجب ان لا تزيد عن ٥ ٪ لأن الكوليرا أخف وطأة بكثير من التيفودية مثلاً . وطبيعي أن تغلب الوفاة في الضعفاء والجائمين والشيوخ والحوامل وفي حالات اقتران هذا الوباء بمرض آخر . ويقال ان التطعيم لا تأثير له على سير المرض . أما الوفيات فيقتسمها الهبوط والتسمم البولي .

* * *

﴿ تشخيص المرض ﴾ — سهل من أعراضه الفريدة المذكورة . وربما كان التسمم الغذائي أكثر الحالات اختلاطاً به . يلي ذلك التسمم المعدني والدسنتاريا والملاريا وبعض الطفيليات المعوية وضربة الشمس . ومع ذلك فان مجرد أخذ عينات البراز وفحصها كافٍ لاثبات الكوليرا . ويعمل ذلك بأنابيب زجاجية صغيرة منقوبة نهايتها تدخل في المستقيم

وترسل الى المعمل حيث تفحص العينة بالمجهر . وتعمل منها المزارع وخبرات التجمع وتخمر السكر واذابة كريات الدم الحمر للدمز وغير ذلك . ومن هنا يتبين أن التشخيص في هذا المرض يكاد لايحتاج إلى عناء كبير من جهة الطبيب المعالج

* * *

﴿ العلاج ﴾ — وما يقال عن التشخيص يقال أيضاً عن العلاج . فهذا الاخير يتركز في المبادرة لتعويض الجسم مافقده من سوائل . لكن هذا لا يستبعد الفحص الطبي والتعداد الدّموي والفحص البولي والضغط الدموي والثقل النوعي للدّم وفحص أشرحة زجاجية من البراز وقياس الحرارة وكمية البراز والقيء والبول وحموضة الدّم وامتزاج ثانى اكسيد الكربون الخ .

أمّا إعطاء السوائل فمن طريق الوريد أو في نخاع عظمتي القص أو القصبة . وذلك في درجة ٣٧ مئينية وبكميات تتراوح بين لتر ولترين بحيث لا تزيد الكمية المعطاة عن ١٠٠ سم في الدقيقة الواحدة . ويعطى محلول بيكربونات الصوديوم ٢ ٪ بكمية ٣٠٠ سم في أول العلاج . وكلما ظهرت على المريض أعراض الهبوط أو زيادة حموضة الدّم . وقد تصل كمية السوائل المعطاة الى ١٤ لتراً في اليوم الأول . ويستمر في تعويض ما يفقده الجسم من سوائل بهذه الطريقة مدّة يومين أو ثلاثة .

* * *

وقياس ثقل الدم النوعي دليل هام على كمية ما يجب أن يتعاطاه المريض من سائل ملحي . وإذا تعذّر ذلك فلا أقل من الإستعانة بالحالة الاكلينيكية والضغط الدّموي وتعداد النبض وكيان الدّم وإفراز البول . ويلاحظ أن الثقل النوعي للدّم في الاوربي ١٠٥٨ وفي الشرقي ١٠٥٦ وإنّ ارتفاع الثقل النوعي الى ١٠٦٣ يبرّر إعطاء ما لا يزيد عن ٣ لترات من السوائل لإرجاع الحالة إلى أصلها وانّ هبوط الضغط السستولي الى ٧٠ علامة خطيرة جدًّا وانّ تكرار إعطاء الحقن الملحية يجب استمراره . مادامت الحالة تبرره ، والاسراف في اعطاء السوائل له خطره كسرعة ضربات القلب والتهيج وانقباض النفس والسعال والارتشاح . ويضيف البعض سكر الفاكهة الى المحلول بنسبة ٥ ٪ بحيث لا تزيد

الكمية المعطاة يوميًا عن ٤٠٠ جرام . كما يضيف من كلوريد التيامين ١ ماليجرام لكل ٢٥ جرام سكر فاكهة .

ولا بدّ لنا أن نذكر القارىء بهذه المناسبة أن بلازما الدّم الطبيعية عند الإنسان تحوي في كل ١٠٠ سم ٣ ما يأتي بالمليجرام :

صوديوم ٣٢٨ وكلورين ٣٦٠ وبوتاسيوم ١٥ وجير ١٠ وماجنيزيوم ٢٤ وفوسفات غير عضوي ٧ وإنّ قلوية الدّم ٣ و ٧

والغريب أنّ هذه النسبة فيما يختص بالصوديوم والبوتاسيوم والجير ثابتة في كل الحيوانات الفقارية بل وفي مصل الأسماك والضفادع وذوات الثديين . وإنّ هذه النسبة توجد أيضاً في مياه البحار مما عزّز الرأي من أن أصل كل هذه الحيوانات إنما يرجع الى تلك المياه .

ولا شكّ أن اعطاء المحاليل فوق الملحية (٢ ٪ كلوريد الصوديوم) بدلاً من المحاليل العادية ١ ٪ في مرض الكوليرا أفضل بكثير عند حصول الهبوط . ذلك الهبوط الذي يحصل عادةً من استنزاف المياه .

ويلاحظ أيضاً أنّ الإفراط في إعطاء المحاليل الملحية بالوريد له خطره من حيث احداث الصدمات وأعراض تسممية .

واستنزاف الكلورين بطريق كلوريد الصوديوم في براز وقيء المصابين بالكوليرا سبب هام في تقلصات العضلات . الأمر الذي يشاهد أحياناً في أصحاب المهن المعرضين لكثرة العرق كعمال المناجم والوقادين . وفي هذه الحالات تمنع تقلصات العضلات البطنية بتناول محلول الملح المعتاد بطريق الفم .

ويعتبر الكوليرا أوضح مثال لتأثير استنزاف الماء وكلوريد الصوديوم بطريق القناة الهضمية أو بعبارة أخرى للجفاف الناتج من الاسهال . وربما يرجع الفضل في إعطاء المحلول فوق الملحي (٢ ٪) بطريق الوريد أو البرتوانه عن المحلول الملحي المعتاد (١ ٪) الى أنّ كمية كلوريد الصوديوم التي يفقدها الجسم في هذا المرض أكثر نسبيًا من كمية الماء

﴿ ملاحظات عن طرق العلاج ﴾ — أرى أن تكون ورقة المشاهدة لكل مريض تتفق مع طبيعة المرض . وذلك بأن تكون على النمط التالي :

تاريخ المرض	الحرارة ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥	نوع البراز	نتيجة فحص البراز	المزرعة	كمية البراز باللتر	كمية القيء باللتر	كمية السائل المعطى باللتر	البول باللتر
٤٧/٨/٦	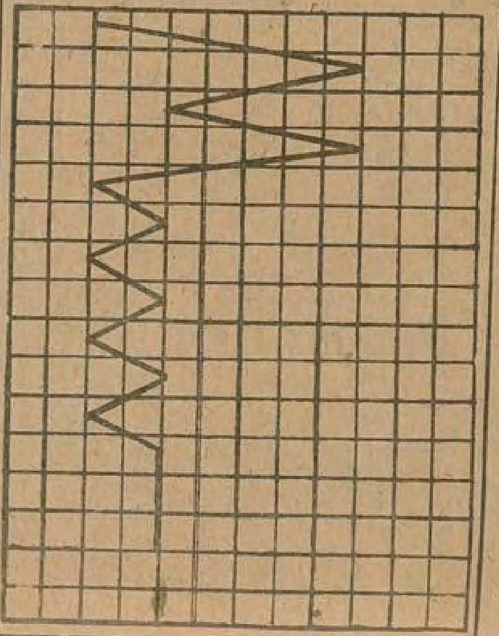	مغلي الأرز	ضمات	+	٢و٥٠٠	٤و٥٠٠	١٢و٠٠٠	٠و٢٥٠
٤٧/٨/٧		»	»	+	٠و٧٥٠	٢و٠٠٠	٥و٠٠٠	٠و٧٥٠
٤٧/٨/٨		أصفر سائل	»	+	١و٥٠٠	—	٣و٠٠٠	١و١٠٠
٤٧/٨/٩		»	لا ضمات	—	٠و٧٥٠	—	٢و٥٠٠	٠و٧٥٠
٤٧/٨/١٠		»	»	—	٠و٣٥٠	—	٣و٠٠٠	١و٢٠٠
٤٧/٨/١١		نصف سائل	»	—	٠و٤٥٠	—	—	١و٢٥٠
٤٧/٨/١٢		متكون	»	—	٠و٣٠٠	—	—	١و٢٥٠
٤٧/٨/١٣								

فإنّ استعمال مثل هذه المشاهدات يتطلب من الممرضة استيفاء كل الملاحظات الضرورية كما يسهل على الطبيب تتبع سير الحالة وطريقة علاجها وكما يساعد بعدئذٍ في عمل الاحصائيات والتقارير النهائية للوباء . ولم يدرج بالجدول البيانات الأخرى العادية كإسم وعنوان المريض وحالات الأعضاء والاعراض المرضية الخ مما هو مدوّن عادة عليها .

وبديهي أنّ حالات الكوليرا واجب عزلها وتطهير كل ما يتلوّث بها من أقمشة أو أوان أو براز أو قيء. ومحلول $\frac{١}{٢٠٠٠}$ من السليماني كافٍ لتطهير البراز والقيء .

﴿ سرير المريض ﴾ — يتطلب هذا المرض المصحوب بقيء وإسهال شديدين في الأيام الأولى القليلة التفكير في سرير يتفق مع حالة المرض . فالسرير الاعتيادي لا يصلح لهذه الحالات في شدّتها إنما يصلح بعد زوال الهدّة ولذا فالسرير العنجريب المفتوح من الوسط امام الشرج والمُلّة الخشب المقعرة (من خشب الابلاكاش) المفتوحة من الوسط أمام فتحة الشرج وكذا الملة المصنوعة من قماش (كانفاس) المفتوحة أمام الشرج أيضاً : كل هذه الأنواع من الملل إذا وضعت على قوائم خشبية منفصلة يمكن وضع المريض عليها لمدّة ٤٨ ساعة بسهولة . فاذا ما وضع إناء أسفل فتحة الشرج وثبت إناء آخر بجانب الوسادة وفّر ذلك عناء كثيراً على المريض والممرض في آنٍ واحد . وإذا كان لكلّ من الإناءين يدان يقبض عليهما بمقبض حديدي يرفعان به ويفرغان في إناء كبير يركب على عجل متحرّك بين الأسرة، أمكن القيام بعملية تفريغ البراز والقيء بين عدد كبير من المرضى في وقت قصير . هذه الطريقة تذلل الصعاب وتوفر الأيدي العاملة وتضمن الإتقان والتمريض .

* * *

﴿ إبادة الذّباب والحشرات ﴾ — أما انّ الذباب عامل هام في نقل الكوليرا فلا جدال فيه ولذلك تجب إبادته . ولكن هناك عوامل أخرى غيره هي الحشرات كالقمل والبقّ والصراصير بل والحيوانات الأخرى كالفيران. أما القمل والبق فعاملان هامّان لنقل الكوليرا من طريق قيء مريض الى السليم . وأما الصراصير والفيران فعامل هام في نقل المرض من المجاري الملوثة الى الطعام والشراب . ولذلك وجبت إبادتها تماماً بهمةٍ لا تقل عن همة إبادة الذباب

كلٌّ بحسب طبيعته . ويهجع إعطاء الماء بالفم إذا أمكن مع إضافة بعض برمانجات الجير الى أن يتلوَّن قليلاً ويعالج الهبوط بالدفء والهياج بالمسكّـنات وكثرة القيء بالكاولين والأتروبين والتقلصات المؤلمة بالمورفين أو ما شابهه ويعالج عدم إفراز البول بالمحلول الملحي فوق القلوي(١٥٠ جرام بيكاربونات الصودا الى نصف لتر محلول ملحي عادي)

وبعد تعويض السوائل والمعادن التي فقدها الجسم تصبح العقاقير الأخرى قليلة القيمة فلا المقويات القلبية ضرورية إلاَّ إذا كان القلب مريضاً أصلاً ، ولا المسهلات ولا الحقن الشرجية ولا المطهرات المعوية ولا العقاقير القابضة ولا الأفيون ومركباته ولا المصل المضاد بل ولا البكتريوفاج ذات قيمة علاجية تذكر . وما يقـال عن هذه الأمور يقال أيضاً عن البنسلين ومركبات السلفا وإن كان بعضهم أشاد بالأخيرة إلاَّ أنه لم يشاطره الكثير للآن الرأي . فشوبرا مدح السلفاجوانيدين وغيره السلفاديازين وثالثهم الاستربتوميسين ولـكن كل هذه الادعاءات لا تزال في حاجةٍ الى تأييد قوي . وسم المرض قتال للأجنة وعليه فتجب المبادرة بالإجهاض حالما يتضح موت الجنين . والمعروف أنَّ الشفاء حتى في الحالات غير المعالجة يحصل بسرعة تسترعي النظر . ويشترط قبل إخراج المريض من المعزل خلو برازه من الضمات

﴿ مقاومة الوباء ﴾ حيثما كان يتطلب الاسراع والحزم والشدة . وربما كانت أهم وسيلة للاشراف على سير الوباء افهام الجمهور حقائق المرض . فالعزل اجباري . لـكن هذا يتطلب موظفين مدربين تدريباً كافياً بحيث يؤدون عملهم على الوجه الأكمل في هدوء ونظام وإتقان . فالتعيين الارتجالي خطر أيما خطر . وهؤلاء المعاونون يعهد اليهم مراقبة المرضى والحالات المشتبهة والمخالطين وحاملي المرض وكل شخص في منطقة موبوءة يرغب الانتقال او السفر مشياً او بالقطار او بالسفينة او بالطائرة او غير ذلك يتحتم عزله لمدة اسبوع وفحص برازه . وتتخذ مثل هذه الاجراءات في كل جهة يصل اليها امثال هؤلاء . ولا تزال قيمة التطعيم العام في مقاومة الكوليرا موضوع خلاف . ويجب مراقبة كل من يحضر طعاماً او ينقل ماء او يبيع غذاء مراقبة فعالة . ويجب تيسير مياه الشرب النقية في كل منطقة موبوءة .

وأفضل طريقة لتعقيم المياه غليها . اما اضافة الكلورين اليها فمسألة فنية دقيقة وفي كل

منطقة تصاب بالكوليرا تخلى المستشفيات مهما كان نوعها وتخصص معازل وكل مبنى عام كالاسواق ودور الخيالة والملاعب وغيرها تحول بسرعة الى معازل . ويشترط في كل معزل وضع الشباك على منافذه وتخصص وسائل نقل المرضى اليه وتوفير الكتبة والمضابط العلاجية وغيرها . ولا بد من تمرين خاص لكل من سيقوم بتمريض حالات الكوليرا قبل استلامه العمل . وتوفر وسائل الابحاث البكتريولوجية والكيماوية في كل منطقة وقدر بعضهم لكل ٧٢ مريضاً ست اطباء و ١٠ ممرضات وستة مساعدين .

« الخرائط الصحية » هي من اهم وسائل الطب الوقائي . اذ يتحتم على كل مفتش صحة مركز او بندر ان يحتفظ بخريطة للجهة التي يعمل فيها مبيناً عليها موارد المياه العامة والخاصة والترع والمصارف والمصليات والمراحيض العامة ومحال قضاء الحاجة واكوام السباخ والدكاكين التي يتاجر اصحابها في المشروبات والمأكولات والمقاهي والمدارس والكتاتيب ومصانع الأطعمة والآبار ومعاصر القصب ومحال حليج الأقطان والمصانع ومحال غسيل الملابس والمستشفيات والمعازل والسلخانات والبرك والمستنقعات والجبانات والزرائب ومحال الالبان وغيرها وبهذه الخرائط يمكن القبض على ناصية الحال بسرعة مدهشة .

عند ظهور اي مرض معدٍ ينتقل بالمأكل والمشرب والذباب ، يهيمن مفتش الصحة ومعاونوه على وسائل نقل المرض دون خطأ او سهو بفضل هذه الخرائط . واذا لاحظنا ان بعض الأوبئة كالكوليرا تندلع نيرانها بسرعة شديدة وان هذه السرعة تتطلب من القائمين بالأمر إرسال أطباء من جهات اخرى الى موضع الخطر لمكافحته ، أمكننا تقدير قيمة مثل هذه الخريطة اذا ما سلمت نسخة منها لكل طبيب خصوصاً ان معظم هؤلاء الاطباء لم يكونوا يعلمون شيئاً عن نواحي الخطر الصحي بالمنطقة التي يرسلون إليها .

ويشترط ان تراجع هذه الخرائط كل ثلاثة اشهر في غير اوقات الوباء وكل اسبوعين وقت الوباء لادخال كل ما يستجد عليها وازالة كل ما انعدم وجوده حتى تكون مطابقة للوضع الراهن ما امكن

وتعمل عدة نسخ من هذه الخرائط وقت ظهور الوباء بسرعة فيحتفظ بنسخ منها في مكتب الصحة وفي تفتيش صحة المديرية وفي الوزارة وغيرها . بل وتوزع هذه الخرائط

على الأطباء وكبار الملاك ونظار المدارس ومكاتب الحكومة الموضعية للاستعانة بها والاشتراك في إطفاء تلك النيران الوبائية

ولما كانت الناحية التعليمية من أهم طرق الوقاية، فان الاذاعة بالراديو والصحف السيارة والخطب العامة والارشاد بالمدارس والجامعات والمساجد — كل هذا له تأثير عظيم لا يستهان به . وكل هذه الوسائل تدور حول الصحة الشخصية كنظافة الأيدي بعد التبرز وقبل تحضير الطعام أو تناوله وتناول الأغذية المطبوخة والساخنة والوقاية من الذباب وعدم الاكثار من الطعام والشراب وابادة الحشرات وتجنب الرعب والذعر . ويستعان أيضاً على ذلك بالصور الرمزية في كل الأماكن العمومية وتعمل الصور الرمزية كالآتي وتعنون بعنوان :

كيف تصاب بالكوليرا

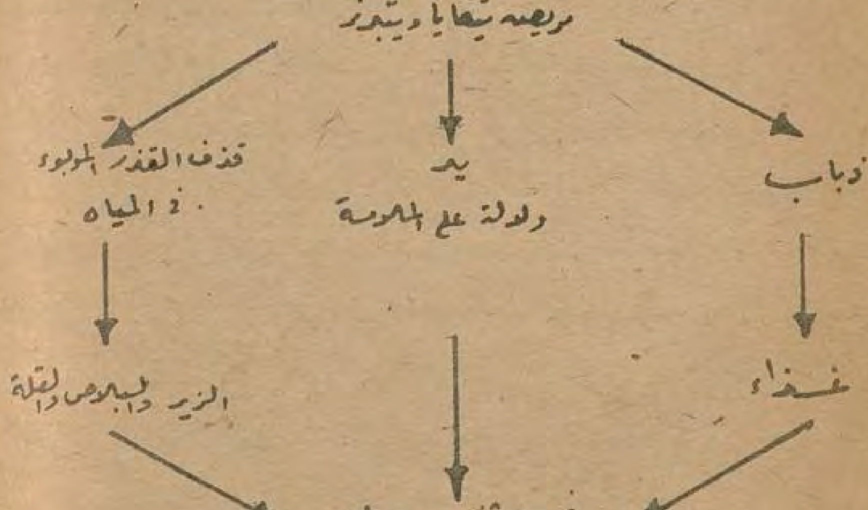
مريض يتقايأ ويتبرز
ذباب
يد ملوثة على الأطعمة
قذف القذر الموبوء في المياه
غذاء
الزير والبلاليص والقلة
فم شخص سليم

ويكتب تحت كل وسيلة لنقل المرض طريقة منع انتقال المرض بها كأن يكتب تحت صورة المريض الذي يتبرز ويتقايأ عبارة (يجب أن يكون التبرز والقيء في اناء خاص وان يطهر القيء والبراز بمحلول السليماني المخفف بنسبة ١/١٠٠٠ وان يقذف في المجاري العمومية ويمنع من تساقط الذباب عليه) . وان يكتب تحت عبارة الملامسة (يجب غسل الأيدي

جيداً بعد قضاء الحاجة مرتين بالصابون ومرة ثالثة قبل تناول الطعام) وهكذا مما هو معروف لدى الأطباء .

﴿ وقاية القطر من الوباء ﴾ إذا أصيب القطر بالكوليرا أو كان مهدداً به ، فان أهم الجهود يجب أن يوجه الى عزل المريض ومعرفة حامليه وعزلهم والى تعليم الجمهور أصول الصحة الشخصية والصحة العامة وايجاد موارد مياه عامة نقية ومجارٍ محكمة وابادة الذباب والقمل والبق والبراغيث والصراصير والفيران والخنافس والاشراف على توزيع الطعام وبائعيه ومقدميه وطاهيه . كل ذلك يستدعي رفع المستوى الاقتصادي . وعليه فان وقاية القطر من الكوليرا هي أولاً وآخراً مسألة اقتصادية أكثر منها طبية .

وغلي الماء ووضع الخبز فوق النار قبل تناوله والمحافظة على الطعام من وصول الحشرات والذباب اليه ومقاومة الذباب أصبحت الآن سهلة باستعمال مركب د. د. ت. بطريق الرش أو دهان الحيطان وعلى الأخص بدورات المياه ومواضع القمامات . ورش المواد البرازية المكشوفة بمادة د. د. ت. يفيد كثيراً في منع سقوط الذباب عليها أو توالده بها .

﴿ السلخانات ﴾ هذه ناحية هامة في نقل المرض . فان سلخانات القطر بؤر لتوالد الذباب كما أن عربات نقل اللحوم لا تراعى فيها الشروط الصحية حالياً . مع انه موضوع لها اشتراطات ورسوم تحفظ اللحوم من تساقط الذباب والقاذورات عليها . وطبيعي أن كل من يباشر عملية الذبح ونظافة الجثث الحيوانية يجب أن لا يكون حاملاً لضمات الكوليرا . هذا فيما يتعلق بالسلخانات الحقيقية . ولكن هناك نوع آخر معروف بين العامة « بالسلخانات » وهو تعبير مجازي علمته من بعض القوم يقصد به مكان طلاء سيارات النقل والركوب في المناطق الموبوءة — فإذا ما دخلت السيارة وتأكد أولو الأمر من تصاريح ركابها وسائقها الخ . تفرغ حمولتها من بضائع وآدميين ثم تتجه الى جراج أو مكان خاص تطلى فيه طلاء مغايراً تماماً لطلائها وقت دخولها وذلك في بضع ساعات وتخرج على الأثر من القرية أو المدينة بشكل لا يتبادر الى ذهن المراقب إنما هي التي مرّت عليه منذ مدة قصيرة . ويقال إنّ هذا التغيير فى الشكل يسهل جدًّا خروجها وقد أطلق العامة على مثل هذا المكان اسم « السلخانة » . وهذه فكرة شيطانية يحسن الانتباه اليها .

﴿ التطعيم ﴾ — أما فائدة الطعم فلا تزال موضع جدال بين الثقاة . ويكاد يكون الاجماع معقوداً على أنّ التطعيم ضد الكوليرا يقلل من الاصابة بالمرض . وقد غالى بعضهم فقال إنّ النسبة بين المصابين من المطعمين الى نظيرتها من غير المطعمين هي كنسبة ١ الى ١٣

وقدّر البعض أنّ الحصانة تكتسب بعد الحقن بثلاثة أيام وتدوم خمسة أشهر . أما إذا ما حصلت إصابة بالمرض بين المطعمين فانّ عدتها لا تقل عنها في غير المطعمين وهذا سبب هام في عدم الارتكان كليـة على التطعيم لمنع حصول وباء الكوليرا بل هناك ناحية نفسية هامة فإنّ التطعيم يحدث في نفس بعض الناس اعتقاداً بأنهم لا يصابون بالمرض فلا يحافظون على أنفسهم من المرض فيصابون به ومع كلٍّ فإنّ قوانين الحجر الصحي تعلق أهمية على التطعيم .

ويفضل الطعم المصنوع من ضمات الوباء المنتشر ويعطى بكمية نصف سم ٣ ثم ١ سم ٣ بعد سبعة أيام ويكرر الطعم بعد مضي مدةٍ تتراوح بين ثلاثة وستة أشهر وحينئذٍ يكتفى بحقنة واحدة مقدارها ١ سم ٣ .. على أنّ أهم النواحي التي يجب على الفرد الاهتمام بها هي أن لا يشرب أو يأكل شيئاً وقت الوباء قبـل أن يكون مغليـاً أو مطبوخاً بعيداً على سقوط الحشرات والذباب . وأن لا يحضر طعام ولا يطهى إلاّ بعد غسل الأيدي جيداً ولا تؤكل الخضروات الطازجة كالخس والخيار بل ولا الحار إلاّ بعد طهيها . وتغلى مياه الشرب وتسقط الفواكه الطازجة في ماء ساخن لمدة دقيقة .

وليلاحظ أنّ الاجهاد الجسماني أو الإفراط في الطعام أو الشراب أو الكحول كل ذلك يساعد على الإصابات بالكوليرا . وكذلك المسهلات والاصابة بالأمراض المعدية الأخرى تهيء الشخص للإصابة . ويشترط في غذاء الشخص أن يكون كاملاً حتى يحتفظ الانسان بمقاومته التامة .

﴿ فضل الكوليرا وعلم الصحة ﴾ ويجدر بنا قبل الفراغ من هذا الموضوع أن ننوه بفضل الكوليرا على الطب الوقائي عامة وعلم الصحة بصفة خاصة فان كثرة أوبئته وعلى الأخص وباء عام ١٨٣٢ لما زار باريس لفت الأنظار لهذا العلم فقد خلف لنا (هاينريش هاين) وصفاً للكوليرا بعاصمة فرنسا يعلق بالذهن ويؤثر في النفوس لدرجة بعيدة .

فقد قال انه حدث في ٢٩ مارس بينما كان الأهالي يرقصون بأوجه صناعية وإذا بأ كثرهم مرحاً يغمى عليه وتلاحظ عليه برودة الأطراف . فلما نزع الوجه الصناعي وجد وجه أزرق اللون . عندئذٍ انقطع الضحك ووقف الرقص وفي مدة قصيرة كانت العربات تشحن بالمصابين الى أوتيل دي في. ثم لما حصلت الوفيات بكثرة رؤي منعاً من احداث الذعر التعجيل بدفنهم جماعات وسرعان ما امتلأت الأماكن العامة بجثث الموتى الموضوعة في زكائب لعدم وجود أكفان وكانت الجنازات متصلة بحيث تكون خطًّا واحداً . وبدأ الأغنياء يهربون من المدينة . وبلغ تعداد تصاريح السفر ١٢٠٠٠٠ تصريحاً أعطيت من (أوتيل دي في) ولعدم وجود عربات نقل الموتى استعملت العربة التي كان يوضع فيها المحكوم عليهم بالاعدام أثناء الثورة الفرنسية لارسالهم الى المقصلة . فكان ذلك عاملاً ثانياً لزيادة الذعر إذ قرب الى أذهان العامة ذكريات تلك الثورة المخيفة وطاعون ميلان المرعب . في تلك الساعة الرهيبة وضع هاين يده على موطن الضعف الذي هيأ المرض انتشاره فاصطدم بأصحاب الاعمال ثم انتصر . فابتدأ بازالة القمامات من الشوارع التي كانت مورد رزق لكثير من العمال . ومن ثمَّ بدأ الشك يتسرَّب الى الأذهان عن وجود تسمم خاف يسبب الكوليرا . واضطرت الحكومة أمام ضغط الجمهور وحملة الجرائد الى تأليف (لجنة صحية) فوضعت هذه اللجنة أسس علم الصحة العام .

دكتور حسن كمال

المراجع

(١) كتاب الحميات — للدكتور حسن كمال بك
(2) Oxford System of Medicine Vol IV — H. Reiman
(3) Manson Bahr : Tropical Medicine
(4) Stitt's Tropical Medicine
(5) Roger's Fevers in the Tropics
(6) Applied Pharmacology — clark
(7) Text Book of Medical Treatment — Dunlop, Davidson & Mac Nee.
(8) Garrison — History of Medicine

للهَوامِّ الـكبيرة هَوامٌ صغيرة

تحملها فوق ظهورها فتلدغها ، وللهوام الصغيرة هوام أصغر منها ،
وهكذا دواليك إلى غير نهاية

الانسان غذاء لكثير من مواص الدم كالبراغيث والبق والقمل ، وكذلك حاجاته وفضلات طعامه التي تقع من مائدته هي غذاء لكثير من الهوام ، بل لجيوش كثيرة العدد من الحشرات كالذباب المنزلي والخنافس والصراصير وعث الملابس .

ولك ان تعرف ان فى الاقطار الشمالية ستة أنواع من البراغيث ، وثلاثة من القمل ، تغزو جسم الانسان ، فما بالك بالمناطق المعتدلة ثم الحارة ! .

على ان الناس يهملون كثيراً في طرد هذه الاعداء والقضاء عليها . فقد يوضح لنا التاريخ أن الحشرات الطفيلية إذ هي تنقل حمى التيفوس ومرض الطاعون من الفأر إلى الانسان ، قد أمكنها ان تقتل من أبنائه عدداً عجزت عن ان تفتك بمثله أفتك أدوات القتل التي كشف الانسان عنها .

ولا شيء يمكن أن يرد عن الانسان غائلة هذه الهوام مثل النظافة ، ويأتي بعدها اهتمام السلطات الصحية بصحة الاهلين ، ثم من بعد هذين جهود العلماء واستنباط الكيميائيات .

لقد كشف البحث العلمي عن سر العدوى وانتقال المرض من العليل إلى السليم ، كما انه جلى سر الدورة الحيوية لكثير من الهوام والطفيليات . أما الكيميائي فقد زود الانسان بعدد وافر من الذرورات والمعفرات والمدخنات والمطهرات التي يمكنه بها أن يهاجمها ويبيدها ، إما بطريق مباشر ، وإما بتطهير البيوت والملابس والاجسام احتماء من فتكاتها .

ان الملاحة الجوية قد زادت من خطر انتقال الهوام والامراض التي تنقلها . والسلطات الصحية في جميع البلدان الراقية مترقبة ترصدها لتحمي الاهلين وبلادها

لقد أصبحت المنتوجات الكيميائية المبيدة للحشرات من محاسن عصرنا الذي نعيش فيه بل من لوازمه . وان علم الانسان الآن ليوحى الينا بأن العناية بانتاجها والكشف عن عقاقير أخر أشد فتكاً بالهوام مما بين أيدينا ، من ضرورات المدنية الحديثة .

حافظ وشوقي

صدى الحوادث عند الشاعرين

أحداث

وفي اليوم الثاني عشر من شهر يوليه سنة ١٩٢٤ كان الزعيم « سعد زغلول » يتهيأ للسفر الى انجلترا ليتفاوض مع حكومتها ، وكان وقتذاك رئيساً للحكومة ، فتقدّم منه في فناء محطة القاهرة شابٌّ مخبول وأطلق عليه رصاصة ، ولكن عناية الله أحاطت بسعد فنجا من هذا الاعتداء الأثيم وكان جرحه يسيراً .

ولقد كان لهذا الحدَث الخطير هزّة استياء عامّ في الشرق كما كان لنجاة الزعيم هزّة فرح وابتهاج أثارت قرائح الكتّاب والشعراء . . . وقام الشاعران الكبيران اللذان رصدا قيثارتيهما لتسجيل حوادث الشرق بنصيبهما في هذا الحدَث .

فأمّا حافظ فقد هبّ من رقدته الطويلة فنشر في اليوم التالي للحادث سبعة أبيات من الشعر . ولكنها كانت كهبّة النائم إثر سهرٍ مُضنٍ ، فهو يفتح عينيه في تثاقلٍ وتراخٍ ويتحدّث في تثاؤب وتكاسل . وكذلك كانت أبياته عليها من أثر الجهد والإعياء ما عليها فهي هزيلةٌ شاحبةٌ متهالكة ظلّ يردّد فيها الشطر الأول من البيت الأول ثلاث مرّات ، فهو يقول :

أحمَدُ اللهَ إذ سلمتَ لمصرٍ   قد رماها في قلبها من رماكا
أحمدُ اللهَ إذ سلمتَ لمصرٍ   ليس فيها ليوم جدٍّ سواكا
أحمدُ اللهَ إذ سلمتَ لمصرٍ   ووقاها بلطفه من وقاكا

ثمّ عاد بعد أيام الى نظم قصيدة في هذه المناسبة لتُلقى في الحفلة التكريمية التي أقيمت بالاسكندرية في ٢٤ من يوليه من تلك السنة ابتهاجاً بنجاة الزعيم وتوديعاً له عند سفره للمفاوضة بدأها بهذه الأبيات :

الشعب يدعو اللهَ يا زغلولُ   أن يستقلَّ على يديك النِّيلُ
إن الذي اندسَّ الأثيم لقتله   قد كان يحرسه لنا جبريلُ
أيموت سعدٌ قبل أن نحيا به ؟   خطبٌ على أبناء مصر جليل
ياسعد إنك أنت أعظم عُدَّةٍ   ذُخرتْ لنا نسطو بها ونصولُ

بمثل هذه الأبيات المضعضعة المتهافتة التي لا نُحسُّ فيها حرارة ولا أثراً لاستثارة من أعماق النفس بدأ حافظ قصيدته . ويبدو لنا أن حالة حافظ النفسية لم تكن في خير حالات الاستجابة الشعرية إن لم يكن السكوت الطويل قد ترك أثره في قريحته فلم تنهض رغم الاستثارة القوية التي دفعت الى هذا النظم ففقد الشاعر كل مميِّزاته الاولى ، ولذلك جاءت قصيدته الثانية فاترة كقصيدته الأولى ، وغلبت عليه روح الدعابة المتأصلة في نفسه فأراد أن يستثير إليه الأسماع بالنكتة حيث لم تتهيأ له إثارة النفوس بالوثبة الشعرية والإبداع الفني فهو يقول مخاطباً الزعيم ، متَّخذاً من لقبه مادة لخلْق النكتة :

ولأنتَ أمضى نبلة نرمي بها   فانفُذ وأقصِد فالنبال قليلُ
النسر يطمع أن يصيد بأرضنا   سنريه كيف يصيده (زغلول)!

ثم يمضي على هذا النهج يعطي دروساً بدائية لزعيم سياسي أخذ أهبته لمفاوضة أمة متمرِّسة في السياسة والدهاء ... يعطي دروساً لزعيم عُرف بالدهاء والفطنة . . . تلك الدروس التي قد يحسُّ أنه وهو يلقيها على أسماع الناس في حفل عام لا يحتاج أكثر الحاضرين فيه الى معاني بعيدة تكدُّ عقولهم قدر حاجتهم الى ألفاظ قريبة تنفذ الى نفوسهم دون كدٍّ ولا تفكير ، وهو الذي عرف نفسيات الجماهير ، واكتسب إعجابهم من هذه الناحية بالذات — ناحية البساطة ، بينما كان في قصائده ، فيما مضى ، من القوَّة والحرارة ما يساعد على إثارة هذا الإعجاب . ولن يرتفع شعرٌ هدفُه صاحبه تصفيق الجماهير العامة . ولعلَّ أصدق كلمة تصوِّر شعر حافظ في هذه المناسبة بالذات هي تلك الكلمة التي قالها عنه الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني حيث يقول « هو — أي حافظ — عندي لسان العصر الذي عاش فيه ، وصوت الشعب الذي أنجبه ، ولم يكن العصر يحتاج الى أرفع من هذه الطبقة ، ولا كان الشعب يقدر أن يحسَّ روحه إلاَّ في مثل شعر حافظ » (١)

---

(١) مجلة « أبولو » صفحة ١٣٢٨ — العدد الحادي عشر (يوليه سنة ١٩٣٣) من المجلد الاول

فهو يردّد آراء وأفكاراً عادية ليس فيها شيءٌ جديد إلاَّ أنها نُظمت شعراً ، وأن ناظم هذه الآراء والأفكار حافظٌ الشاعر الكبير سواءٌ أكبرت هذه القصيدة في قيمتها أم صغرت ... ونحن نؤيد حجتنا هنا بقول الأستاذ الزيات عن حافظ « ... فاذا تهيأ للشعر أو للنثر عمد الى الآراء التي تختلج حينئذٍ في النفوس ، وتستفيض في المجامع ، وتتردد في الصحف فيجمعها في باله ويديرها في خاطره » (١)

أما شوقي فقد هزَّ وجدانه هذا الحادث هزَّة عنيفة وأثار شاعريته إثارة قوية ، فبدت في قصيدته اللفتات السريعة والومضات الشعرية الخاطفة موزَّعة الأضواء في دقّة وتفنن .

هزَّ وجدانه هذا الحادث وهو الذي عاد من منفاه الى وطنه آسفاً على ما فاته من المعاركة لهذا الشعب خلال ثورته الكبرى ، وقد ظهر هذا الأسف فيما بعد في قصيدة نظمها في احتفالٍ بيوم ١٣ نوفمبر ، وعنوانها « الحرية الحمراء » وهي وإن نُظمت في السنوات الأخيرة وبعد وفاة سعد خاصةً إلاَّ أنها معبِّرة عما كان يخالج شعور شوقي منذ عودته من المنفى ومساهمته في كثير من المناسبات التي أقيمت منذ عودته ... وفي قصيدة الحرية يقول:

يومُ البطولة لو شهدتُ نهارَهُ لنظمتُ للأجيال ما لم يُنظمِ
غُبنت حقيقتُه وفات جمالُها باعَ الخيالِ العبقريِّ الملهَمِ
لولا عوادي النفي أو عقباته والنفيُ حالٌ من عذاب جهنمِ
لجمعتُ ألوان الحوادث صورةً مثَّلتُ فيها صورة المستسلمِ
وحكيت فيها النيل كاظم غيظه وحكيته متغيظاً لم يكظمِ ...

وشوقي إذا اهتزت مشاعره ارتفعت شاعريته وحلّقت في أجواء خيالٍ مبدع لأن عبقريته – كما يقول الدكتور أبو شادي – « منبعثةٌ من نفسه خلافاً لحافظ ابراهيم الذي كان مرآةً نخمة لمشاعر أمته وكان نبوغه من وحي أمته لا من ذاتيته هو » (٢) فهو الذي يرى الفتنة الطاغية الخاطئة المستولية على نفوس الشباب وقد قادها الهوى الى محاولة

---

(١) راجع صفحة ١٠٩ من كتاب « في أصول الادب » للاستاذ احمد حسن الزيات — طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٥

(٢) من مقال للدكتور احمد زكي أبو شادي في مجلة « أبولو » ص ٥٠٢ العدد الرابع (ديسمبر سنة ١٩٣٢) من المجلد الاول

اغتيال كثير من رجالات هذا البلد في نزقٍ وطيش ليجعلوا من أنفسهم حكّاماً على أعمال الزعماء دون تبصُّر ووعي . وفي هؤلاء الرجال الذين امتدَّ طيش الشباب اليهم أصدقاء أعزاء لشوقي يحمل لهم في نفسه ذكريات طيبةً ، وكان سعدٌ من هؤلاء الأثيرين الى نفسه ... وقد روى الأستاذ حسين شوقي (١) — نجل الشاعر — أن أباه كان يذكر على الدوام عهوداً كريمة كانت بينه وبين سعد باشا ، وكان من أغلى الذكريات عنده ساعة أهداها له سعد باشا حين التقيا بسويسرا وكان سعد يختار هدية الزفاف بأم المصريين فاشترك شوقي في الاختيار ثم اختار سعد ساعة وأهداها لصديقه الشاعر .

وأذكر أني قرأت مرّة كلمة للاستاذ الفنان محمد عبد الوهاب في إحدى المجلات الأسبوعية منذ سنوات يروي فيها أنه كان يسير مع شوقي وإذ بشابين يتقدمان نحو الشاعر الكبير يتفرّسان فيه ثم يرتدّان وهما يغمغمان بألفاظ تبين منها أنهما كانا يظنان شوقيًّا فريسةً يترصدانها ثم أُذيع إثر ذلك خبر محاولة بعض الشبان الاعتداء على حياة المرحوم ثروت باشا — على ما أذكر — ... فمن هذه الأسباب مجتمعة نحسُّ الهزّة العنيفة التي أثارت شاعرية شوقي واتخذت هذه المناسبة ميداناً لبروزها متفجرة من نفسه .

فهو يعرض الصورة عرضاً فنيًّا رائعاً حين يمثّل قضية الوطن بسفينة تمخر عباب بحرٍ السياسة المتلاطم ، وقد أخذت ركابها نشوة الفرح بنجاة رُبانها من الخطر فهي تسير بين تهليل الركبان ... وقد وُفّق الشاعر في جعل موسيقى القصيدة مواءمة لموضوعها ، فأنت تحسُّ إذ تستمع اليها تلاطم الموج من حول السفينة وتحسُّها تشقُّ الأمواج في عزم وأناةٍ ، وتستمع الى فرحة الركبان حين يقول :

نجا ... وتماثل رُبّانُها ودقَّ البشائرَ رُكبانها
وهلَّل في الجوِّ قَيدُومُها وكبَّر في الماءِ سكّانها
تحوَّل عنها الأذى وانثنى عُبابُ الخطوب وطوفانها
نجا (نوحها) من يد المعتدي وضلَّ المقاتلَ (٢) عُدوانها

---

(١) راجع صفحة ١٢٣ من كتاب « أبي : شوقي » للاستاذ حسين شوقي — مطبعة مصر سنة ١٩٤٧

(٢) المقاتل = جمع مقتل : وهو العضو الذي اذا أصيب لا يكاد صاحبه يسلم

ثم يتناول الحادث بالتصوير الفني المبتدع واللفتات السريعة لاقتباس الحوادث القديمة المماثلة للتمثيل والموازنة في دقة ، وهو في هذا التصوير بارع في مزج الألوان مما استطاع به أن يبرز على حافظ ، وبنوع خاص في هـذه القصيدة ، لأن حافظاً — على حدّ قول الدكتور أبي شادي — « كانت تنقصه الوثبات القوية الأخـّاذة والخيال الرائع المحبوب وندرة التصوير الفني المتجلية في شعر شوقي مهما يكن من استجابة حافظ لعواطف الشعب استجابة فطرية » (١). ولـكن خيال شوقي وما وعاه من عبر التـاريخ يسعفانه في هـذا الموقف فهو يقول :

وقَى الأرض شرَّ مقاديره   لطيفُ السماءِ ورحمانُها
ونجّى الـكنانةَ من فتنة   تهـدّدت النيلَ نيرانُها
يسيل على قرن شيطانها   عقيق الدماءِ وعقيانُها
فيا سعد جُرحك ساءَ الرِّجا   ل ، فلا جُرحت فيك أوطانها
وقَـتْك العنـايةُ بالراحتيـن   وطوّق جيدك إحسانها
منايا أبى الله إذْ ساوَرَتْـك   فلم يُلق نابَيْهِ ثعبانها
حوَتْ دمك الأرض في أنفها   زكيّـاً كأنك (عثمانها)
ورقت لآثاره في القميـص   ، كأن قميصك قرآنها
ورِيعتْ ، كما ريعت الأرض فيك   ، نواحي السماء وأعنانها
ولو زُلت غُيّب (عمرو الأمـور)   ، وأخلى المنابر (سحبانها)

وقد اعترض المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي على تعبير (عمرو الأمور) وعدّه من آثار تركية شوقي الباقية في نفسه فهي عنده « إضافات وهمية ... لا محلّ لها في ذوق البلاغة العربية » (٢)

---

(١) من مقال للدكتور احمد زكي أبو شادي — ص ٥٠٠ من العدد الرابع (ديسمبر سنة ١٩٣٢) من المجلد الاول من مجلة « أبولو »

(٢) راجع مقال « شوقي » للمرحوم الاستاذ مصطفى صادق الرافعي — ص ٣٩٤ من عدد نوفمبر سنة ١٩٣٢ من « المقتطف » جزء ٤ مجلد ٨١

وبعد أن يصوّر شوقي محاولة المعتدي الأثيم ينتقل الى الكلام على النزعة التي استولت على نفوس الشباب فدفعتهم الى الجريمة ، وهنا تتجلى لشوقي تلك الصورة التي أشرنا اليها والتي رواها الفنّان عبد الوهاب فيفزع منها شوقي ويبدو أثر هذا الفزع في هذه الأبيات :

أرى مصر يلهو بحدّ السلا ح ويلعب بالنار وِلدانهـا
وراح بغير مجال العقو ل يجيل السياسةَ غلمانها
وما القتل تحيـا عليه البـلا دُ ، ولا همّـةُ القول عمرانها
ولا الحكم أن تنقضي دولةٌ وتقبـلَ أخرى وأعوانها
ولكن على الجيش تقوى البلا د ، وبالعـلم تشتدُّ أركانها

وهنا تظهر فيه روح الحكيم وتنثال على لسانه الحكمة التي تغلب على كثير من قصائده كما ألمعنا الى ذلك من قبل ، وينتهي بعد التقريع واللوم الى أن يقول :

لقـد عبثتْ بالنِّياق الحُـدا ةُ ونام عن الإبْلِ رُعيانها
إلى الخُـلْـق أنظرُ فيما أقو ل وتأخذ نفسيَ أشجانهـا

ثم يخاطب سعداً ليذكّره بالأمانة التي حملها فلا يقول كما قال حافظ :

جمعوا عقاقير الدهاء وركّبوا ما ركّبوه وعنـدك التحليـلُ
يا سعد أنت زعيمنا ووكيلنا وعليك عند مليكنـا التعويلُ
فادفعْ وناضلْ عن مطالب أمةٍ يا سـعد أنت أمامها مسئولُ
النيـل منبعهُ لنا ومصبُّهُ ما إن له عن أرضهـا تحويلُ

ولكنه يقول في عرض فنيٍّ جميـل وتذكير شعري رائع يبيّـن فيه حُجّـة المصريين أمام دعوى الانجليز كما يجب أن يدلي بها السياسي :

ويا « سعد » أنت أمين البلا د قد امتلأتْ منك أيمانها
ولن ترتضي أن تُـقـدّ القنا ةُ ويُـبْـتَـرَ من مصر سودانها
وحجّـتنا فيهما كالصبـا ح وليس بمعْـييك تبيانها
فمصر الرياض وسودانها عيون الرياض وخُـلْـجانها

وما هو ماءٌ ولكنّه وريدُ الحياةِ وشِرْيانها
تتمّمُ مصرَ ينابيعُهُ كما تمّم العينَ إنسانها
وأهلوه منذ جرى عَذْبُهُ عشيرة مصر وجيرانها
وأما الشريك فعِلاّتُه هي الشركات وأوطانها
وحربٌ مضت نحن أوزارها(١) وخيلٌ خلت نحن فرسانها

* * *

هذه قصيدة شوقي في حادث الاعتداء على سعد عرضنا منها نماذج بعد أن عرضنا شيئاً من قصيدتيْ حافظ ، ومن هذا العرض يتجلى تأخُّر حافظ في هذه المناسبة تأخراً عجيباً لا ندري تعليله الاّ أن نذهب مع الاستاذ احمد أمين بك في أن « خير شعر حافظ ما اتصل بعاطفته الحزينة ، فأما فرح بالطبيعة ، وفرح بنفسه ونحو ذلك مما ينبعث من عاطفة السرور فلم يكن له كبير مجال في شعره » ... ويرجع الاستاذ أحمد أمين بك ذلك الى « أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجي ،كان مظهره الخارجي ضحوكاً مرحاً ... ولكنه في أعماق نفسه حزين ... وهذا ما يعلل أيضاً ضعف الفكاهة في شعره » (٢)

فاحساس شوقي في هذه القصيدة إحساسٌ صادق تعبر عنه هذه الموسيقى النابضة الراقصة التي وُفق الى نظم قصيدته منها ، وهي تسابق الالفاظ في التعبير عن فرحة الشاعر في حين نلمس ضعف الموسيقى وفتورها كما نلمس فتور الالفاظ وهزال المعاني بل مواتها في قصيدة حافظ الأولى ثم تعثرها حين أراد أن يبعث فيها طول النفس في قصيدته الثانية . هذا ، الى أنك لاتجد في قصيدة شوقي إجهاداً ولا تحسُّ فيها إعناتاً بل تحسُّ فيها يسراً هو صدق الفن ، وجمالاً هو روعته .

حسن كامل الصيرفي

---

(١) الاوزار = جمع وزر : وهو السلاح

(٢) راجع المقدمة التي كتبها الاستاذ احمد أمين بك لديوان حافظ ابراهيم — ص ٣٨ طبعة وزارة المعارف سنة ١٩٣٧

من حياة أبي نواس

ممن نادمهم أبو نواس الامير عيسى بن أبي جعفر المنصور . وقد عزم الامير يوماً عليه أن يقيم معه في قصره أسبوعاً بالقفص بين بغداد وعكبرا قريباً من بغداد ، وكانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه ، وتنسب إليها الخمور الجيدة ، والحانات الكثيرة . وقد أقام الجماعة بالقفص يقصفون ويشربون بين عزف وغناء في مجلس مونق وسط الحدائق الفيحاء ، فلما أرادوا الانصراف وحله الامير وخلع عليه وصله الهدايا وقال له : « بحياتي عليك ! صف مجلسنا هذه الايام كلها التى أقمناها » : فقال في ذلك .

يا طيبنا بقصور القفص مشرقة   فيها الدساكر والانهار تطرد
لما أخذنا بها الصهباء صافية   كأنها النار وسط الكأس تتقد
جاءتك من بيت خمار بطينتها   صفراء مثل شعاع الشمس ترتعد
فقام كالغصن قد شدت مناطقه   ظبي يكاد من التهييف ينعقد
فاستلها من فم الابريق فانبعثت   مثل اللسان جرى ، واستمسك الجسد
فلم نزل من صباح السبت نأخذها   والليل أجمعه حتى بدا الاحد
ثم ابتدأنا الطلا باللهو من أمم   فى نعمة غاب عنها الضيق والنكد
حتى بدت غرة الاثنين واضحة   والسعد معترض ، والطالع الاسد
وفى الثلاثاء أعملنا المطي بها   صهباء ما قرعتها بالمزاج يد
والاربعاء كسرنا حد سورتها   والكأس يضحك في تيجانها الزبد
ثم الخميس وصلناه بليلته   صفاً وتم لنا بالجمعة العدد
يا حسننا ! وبحار القصف تغمرنا   في لجة الليل والاوتار تغترد
فى مجلس حوله الاشجار محدقة   وفى جوانبه الانهار تطرد
لا نستخف بساقينا لغرته   ولا يرد عليه حكمه أحد
عند الامير أبي عيسى الذي كملت   أخلاقه ، فهي كالاوراق تنتقد

(من كتاب « ألحان الحان » : للاستاذ عبد الرحمن صدقي ص ٢٥٦ و ٢٥٧ سنة ١٩٤٨

مشهد من مسرحية كليوباترا (١)

للشاعر محمد فهمي

(منظر الوليمة كما في العدد السابق وقد استعدت القاعة الكبرى للاحتفال وبدت الغادات على الارائك وبين الموائد والمدعوين كأنهن الحور في أبهى منظر وفي المقدمة عرش كليوباترا وبجانبها انطونيو وفي أقصى القاعة يبدو مسرح في احدى جوانبه تجلس فرقة الموسيقيات حيث يعزفن أنغاماً ساحرة)

أنطونيو لكليوباترا (رافعاً كاسه) .

على نخبكِ بل حسنكِ بل حُبكِ أشربْ

قائد روماني (يهب مندفعاً)

على أعلام روما   خفقت شرقاً ومغربْ

حوريس صائحاً: على مصرٍ وتاجٍ   لشعاع الشمس يُنسب !

آخر : على البط على الحلوى   وما أحلاه مذهب !(الجميع يضحكون)

أنطونيو للساقي (رافعاً كاسه)

ألا..أترعْ كأشواقي

كليوباترا باسمة   تُرى هل شاقك الساقي ؟..

أنطونيو وقد فعلت به الخمر

عجبٌ يُطيف بسرِّكِ العجبِ   أغدو السليب اليوم في طربي؟!
نخُّوا الكماةَ ومن يشاركهم   في الطعن والإثخان بالقضُبِ

(القواد يفزعون)

إنّ الحياة . . .هوىً وساقيةٌ   وتألق الغادات كالشُّهُبِ
وتعانق الهمَسات في ولهٍ   وتصافح الوجَنات كاللهب
والمُسمعاتُ الفن تقتلنا   بالسحر . بالألحان. بالهُدُب . !!

كليوباترا باسمة : —

أخشى عليك اليوم فاتنةً   تغزو آله الحرب

أنطونيو ضاحكاً : —   ذا أربي..(يضحكان)

استعراض الراقصات على المسرح على أنغام الموسيق

---

(١) انظر اعداد المقتطف الثلاثة السالفة ديسمبر ١٩٤٧ ويناير وفبراير ١٩٤٨

تبدو على المسرح غادتان تتحدثان عن الحب :

الاولى :

هو الحب داءٌ يفتُّ العِظام ويُولي السقام ويفري الكبدْ
يُغلغل في سَرَحات الدماء يخدرها ويذيب الجسدْ
تحسُّ به كدبيب الفناء تسرّب في الشامخ المنفرد
فإمّا يخرّ لآساسهِ وإما ترنّح كالمرتعد ؟
وآناً يثير سعير اللّظى بقلب المحب مضى يتّقدْ
يؤجج بين الحشا جذوة تغول الجوانح . . لا تقتصد
كأن المحبّ شقي الجحيم يُجدد دوماً اذا ما نفد
يوالي الزفير كحر السعير اذا ما تنفّس مما يجِد
به غُصّةٌ في صميم اللّهاة فما ينطق الحرف إلاّ بجهد !
وتجفو حماه طيوف الكرى ويا ويله من عذابٍ أشدْ
إذا ما رثت لسهاد الجفون وأغفى المحب بها أو رقد
يُفزّع في ليل أحلامهِ ولا من يواسي الطريد النكِد . . !

الثانية تجيب :

ولكنْ أراه كأغرودةٍ ترنّمها الصّدح الناغيهْ
تردّدها في نديّ الغصون وتودعها النسمة الساريه
وتسبح في الكون أنغامها فيشدو الوجود مع الشاديه
وتهفو اليها ثغور الصباح تقبّلها القبلة الحانية . .
فيهتز وسْط الحقول النبات وتنتعش الزهرة الساجيه
يباكرها الفجر في ريبةٍ ويفتضُّ بُرعمةً غافيه
يغازلها مستخفّ الشعاع ويرقص للهمسة الخافيه
ويمضي يلفّ لَمى ثغرها ويستافها قبلةً ناديه
فيسري السرور بأعطافها وتشتاق للّثمة الثانيه
وتحلم بالوصل في نشوةٍ كسكرى بخمرٍ من الداليه ! ...

يدخل على المسرح شاب مندفعاً —

وإني أراه كمجنونةٍ من الريح عارمةً عاصفهْ

تدمدم وسط رحاب الفضاء   وتصرخ بالصرخة الراجفه
كأن الجبال بها زُلزلت   أوَ انّ الفضاء رمى الآزفهْ
فملء العروق لها ثورةٌ   وملء الدماء منىً قاصفه
تعربد في النفس حيّاتها   وفي الجسم ناهشةً زاحفهْ
تروم شفاه الحبيب لتُفضي   إليه بثورتها اللاَّهفه
وتطوي مفاتن أعطافه   مسعَّرةَ الضمّ .. بل هاتفه !
بحُمّى الدماء .. وحُمّى السُّعار   وحُمّى الرغائب والراشفه
الى أن يقر هناك القرار   وتهجعَ في البانة الوارفه ...!

يجيبه شاب آخر على المسرح

ومثلك تهوى ذئاب الفلاةِ   ووحش الشراة ورهطِ البقرْ !
تظنونه من فعال الغرام ؟   وليس سوى شهوة تحتقر !

الاول متحدياً

بمثل غرامي تفوز الحياة   وليس بعاطفةٍ أو بكاءْ
وماذا ترجّي الحياة سوى أن   تذود عن الجنس شر الفناء
وكيف السبيل سوى شهوةٍ   لها قدرة الخلق أنّى تشاء ..

الثاني محتداً —

فتُنْتج خلْقاً كمثل القطيع   وقد هام صنو وحوش الخلاء
ألا من مما يابن آدم قل لي   من الكهف؟ والغابَ؟ نحو العلاء
سوى من تغنوا بوحي السماء   وأهل المشاعر والأوفياء ! ..

(الجميع يصفقون والموسيقى تعزف ويسدل الستار)

أنطونيو رافعاً كأسه :

يا ساقنا هيا

الساقي :   **مولاي لبّيكا**

هيلانه (تسبق الساقي لتصب لانطونيو وتلتقي نظراتها بحوريس على البعد فتضطرب ويقع الدن من يدها فينكسر

(ضجة ثم تسكت الموسيقى)

باب المراسلة والمناظرة

حتمية ثبوت همزة الوصل بعد – أل التعريف

نشرت المقتطف الغراء بعددها الصادر في أول يناير ١٩٤٨ ردًّا على ردّي المنشور في مقتطف نوفبر من السنة ذاتها وكان الرّد لشاعر الوادي — محمد الصاوي عمار — وفيه يدحض لا بل يلح على دحض ما قلته عن وجوب ثبوت همزة الوصل بعد (أل التعريف) معتمداً في ذلك على قراءة من قرأ الآية الشريفة — (بئس الاسم الفسوق بعد الأيمان . وغير ملتفت الى التحليل النحوي العقلي والنقلي ولكي نبين له أمرها بأجلى صورة يحسن بنا أن ننقل له بتلخيص آراء النحويين الكوفيين والبصريين في حركة الهمزة ونقلها وعدمه لما قبلها معتمدين في ذلك على كتاب « الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين » لمؤلفه الشيخ الامام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري النحوي ومحققه محمد محيي الدين عبد الحميد .

جاء في المسألة ١٠٨ « ذهب الكوفيون الى أنه يجوز نقل حركة همزة الوصل الى الساكن قبلها وذهب البصريون الى أنه لايجوز . وأجمعوا على أنه يجوز نقل حركة همزة القطع الى الساكن قبلها كقولهم « منَ أبوك » « وكمِ إبلك » ويستشهد الكوفيون بهذه الآيات (المَ اللهُ لا الهَ إلاّ هو) (مناع للخير معتدٍ مريبنَ الذي) بسم اللهِ الرحمنِ الرحيمُ الحمدُ للهِ) اعتماداً على ما حكاه الكسائي عن بعض العرب وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني وهو أحد القرّاء العشرة (وإذ قلنا الملائكةُ اسجدوا) فالملاحظ ان الهمزة نقلت حركتها لما قبلها حسب رأيهم .

وأما البصريون فاحتجوا بقولهم « إنما قلنا لا يجوز ذلك لأن الهمزة إنما يجوز أن تنقل حركتها إذا ثبتت في الوصل نحو « منَ أبوك » فأما همزة الوصل فتسقط في الوصل فلا يصح ان يقال ان حركتها تنقل إلى ما قبلها لأن نقل حركة معدومة لا يتصوّر ولو جاز ذلك لقلنا : (قالَ ألرجل ...) فلما لم يقل ذلك بالاجماع دلّ على فساد ما ذهبتم اليه . »

ويعلل البصريون الحركات المتقدمات في الآيات الى التقـاء الساكنين . ويعللون كذلك الفتح في (مريبنَ الذي) والعدول به عن الكسر الى الخفة ولكيـلا تجتمع خمس كسرات متواليات لأن الياء كسرتان وهكذا يستطردون في التعليلات الأخرى ولا حاجة لدرجها بل على من يريد ذلك ان يتفضل فيقرأها في الـكتاب المشار اليه .

ان الخلاصة التي نستخلصها مما تقدَّم هي أن الرجوع الى القراءات له علاقة بموضوع حركة همزة الوصل وثبوتهـا كما أردنا . وأن توالي الحركات له علاقة أيضاً بالذوق من جهة ثبوت الهمزة بعد (ال التعريف) أفلا نرى إنه من العسير أو فيه عسر قولنا (سئمت من عسيرِ اَلِـمتحان) بدل (عسيرِ الْامتحان) ألم تجتمع في هذا خمس كسرات وهل قال قائل (عسيرَ لمتحان) أي (عسيرَ الامتحان) أوليس هذا عيباً من جهة الفصاحة وهل يمكن أن يقول قائل هذه العبارة ثلاث مرات وبسرعة مناسبة وهي من مَللِ (لِضطهاد) أي (من ملل الاِضطهاد) وتستخلص كذلك مما سبق أن رأي شاعر الوادي منطبق على طريقـة الـكوفيين وهي نقل حركة همزة الوصل بدون قيد الى ما قبلها فيصح قوله (أ لِنتخاب) بدل (الْأُنتخاب) غير أن هـذا يتعارض — كما بينا في ردنا السابق — مع طريقـة التقاء الساكنين المعروفة فاذا قلت (لم يكملِ لِختبار) في (لم يكملِ الاختبار) فعلى مَ اذن اكسر اللام الأولى وقد وليها متحرك ، إن هذا مع ما شرحناه لدليل ساطع على حتمية ثبوت الهمزة بعد (ال التعريف) وهو مستق من رأي البصريين وهم أقوى من الـكوفيين في كل الأدلة النحوية لا سيما إذا ما عرفنـا ان من رأي البصريين — وهو الأرجح — الـكسر لهمزة الوصل أساساً . هـذا ما أردنا ان نعرضه من جهة النحو ولدينـا تعليقـات أخرى على ما أورده الشاعر في رده .

إني لأعجب لماذا تمسك الشاعر في هذا البيت الذي قطعت فيـه همزة الوصل ضرورة .

لقد رشحت يا أفق السحابا   وقد أجرت رياحك إنتخابا

ولم يأت بتصليحي الثاني وهو .

لقـد رشحت يا أفق السحابا   وقد أجرت لها الريح انتخابا

وهناك نقطة أخرى وهي قوله ان الآية في سورة الحجرات وهي الحقيقة وليثق بأني

أرسلتها بعد ارسال ردي السابق بيومين لمحرر المقتطف وطلبت منه تصحيحها أو الإشارة اليها مع استدراك على صحة وزن بيت شوقي .

من أمازيس ما الأميرة في الأرض وما مصر من بقمبيز يزرا

ولا أدري لماذا لم يشر لهذا محرر المقتطف . وأما رسمها في طبع الهند هكذا (بئسَ اَ ْلاَ ِسم الفسوق . .) (° علامة السكون — الهمزة) . حسب اصطلاحاته ويقول الشاعر انه راجع الطبعات فلم يجد ما أشرت إليه سابقاً من ثبوت رسم الهمزة وإني أشير عليه أن يراجعها ثانية فسيجدها في عناوين السور قرب البسملة وفي بعضها في الوسط الأعلى من الصحيفة . وزيادة على ما تقدم أشير عليه أن يراجع المصحف الشريف من القطع الصغير ، طبع مصر بحارة النبوية بقسم الدرب الأحمر ومصححه محمد سيد الجريسي الكتبي وفي هذا سيجد في صحيفة (٥٠٢) (سورة الاِنفطار مكية) وفي صحيفة ٥٠٥ (الاِنشقاق مكية) وعلاوة على ما تقدم أحب أن أقول لشاعر الوادي إنّي لم أسمع ولم أدرس كسر لام (أل) قبل الهمزة ولا يوافقها ذوقي لا بل وغير شائعة في كل بلادنا فنحن نقول (أ ْلأَقتصاد . أ ْلاَجتماع) . ولا شك ان هذا مبني على العقل والسماع واني لو لم أزن بيت الشاعر القدير (شاعر البراري) لما عرفت أن لام (الانتخاب مكسورة) . ولكني رأيت مثلها في الشعر المصري كثيراً ولعلّ إخواننا المصريين متبعون طريقة الكوفيين في نقل الحركة وهي غير متفق عليها وقد أثبتنا بطلانها بتفكيرنا المبني أو المستنتج من أسلافنا البصريين والسلام . البصرة بشير الصدر

على هامش البلدان

في عدد سابق من « المقتطف » الأغر . كتب الأستاذ فؤاد محمد شبل مقالاً عن الدولة الاسلامية الجديدة باكستان جاء فيه « وان اعترف أمراء الهندوس بسيادة السلطان المسلم في دلهى وارسالهم الجزية اليه ... » وهذا خطأ لأن الاسم الصحيح للبلدة دهلى بتقديم الهاء على اللام وبهذه المناسبة أحب ان أقول ان كثيراً من الصحف درجت على كتابة اسم الجزيرة المشهورة « قبرس » بالصاد والصحيح ماذكرناه كما وردت في كثير من كتب القدامى

محمد الشاذلى حسن

باب الأخبار العلمية

مصريون يكتشفون ٥٠ نوعاً جديداً
من الأحياء المائية

طاف الأستاذ الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر بك مدير محطة الأحياء البحرية في الغردقة بجميع الشواطىء الأميركية والبريطانية ليتفقد المحطات البحرية فيها ويتصل بالعلماء المشتغلين بشؤون الأحياء المائية لزيادة التعاون بين مصر والغرب في هذا المجال والاهتداء بالأساليب العلمية الغربية عند انشاء معهد للأحياء المائية في السويس قريباً .

وقابلت الدكتور جوهر بك وسألته عما شهده في رحلته وعما تنوي مصر أن تحققه من تقدم في العناية ببحوث الأحياء المائية

مآثر العاهل المصري

فقال : لزامٌ عليَّ قبل كل شيء أن أذكر بالفخار والغبطة أنّ جلالة الملك فاروق يعني ببحوث الأحياء المائية في مصر عناية كبيرة ولولا جهود جلالته ورعايته لكان من المحتمل أن تغدو محطة الأحياء البحرية في الغردقة في خبر كان .

وقد تفضل جلالته فزار المحطة غير مرة واحدة ، وأهدى إلى متحفها مجموعة ثمينة من النماذج ، وهو ما يفتأ يهدي إليها هدايا علمية نفيسة تعرض في الصالة الكبرى المتحف .

ومن آيات برّ الفاروق بالحركة العلمية أن جلالته أشار بإنشاء معهد جديد للاحياء البحرية في السويس ، وقد شرع فعلاً في بناء أكشاك من الخشب في تلك المنطقة لاستخدامها إلى أن يتسنى بناء المباني الجديدة قريباً . وعند إتمام تشييد معهد السويس يرجى أن تنقل الأكشاك الخشبية الى بور سودان لتفتتح فيها محطة ثالثة تدرس فيها حياة الأحياء المائية ولا سيما في فصل الشتاء لأن الجوّ يتحسن فيه في تلك المدينة .

جهود مصر العلمية

وتنفرد مصر في منطقة الشرق الأدنى بهذه النهضة المائية كما أنها تمتاز على المعاهد المائية في جميع ربوع العالم بأنها تدخل من حيث الجغرافيا المائية في المنطقة الاستوائية

وقد استطاعت مصر على الرغم من نقص

عدد العلماء المختصين من جمع عينات من حيوانات الماء لدرسها حيَّة وبلغ مجموع الأنواع التي تمَّ حتى الآن كشفها ٨٠٠ نوع منها نحو ٥٠ نوعاً لم تكن تعرف من قبل .

تعاون مصر والغرب

وقال الدكتور جوهر بك إنَّ محطة الأحياء البحرية تصدر بين الأوان والآخر نشرات علمية تتضمن ما أحرزته مصر من كشوف وترسلها الى العلماء البحريين في جميع أنحاء العالم وتتلقى في الوقت عينه بحوثاً ورسائل من العلماء الغربيين لتعزيز الصلات العلمية والثقافية بين علماء مصر وعلماء الخارج واطلاع الغرب على نشاطٍ علمي يحق لمصر أن تباهي به وتفاخر .

ويتبادل المنشورات العلمية بين مصر والغرب أمكن لمحطة الأحياء المائية في الغردقة أن تنشىء مكتبة نفيسة عامرة بالمؤلفات المختصة بالبحوث المائية . وهناك تفكير في أن يطبع بعض العلماء المصريين كتباً باللغة العربية في هذا المنحى العلمي لأن المكتبة العربية تكاد تكون خلوًّا منها .

كيف تعمل المحطات

والمنهج الذي تسلكه محطة الغردقة في درس الأحياء المائية يتلخص في أن تستعين المحطة بالغواصين لجمع أكبر عدد ممكن من الأحياء . وبعد ذلك يتوفر العلماء على درس كل ما يتعلق بها في أحواض خاصة مهيأة لهذه الغاية فيعرف عنها أدوار نموّها وتكاثرها ومدى عمرها والعوامل الجوية والمائية التي تؤثر فيها والتيارات البحرية وعمق الماء والفصول والتكوين الجيولوجي للبحر ، وما عدا ذلك من العوامل . وان « محصول » يوم واحد من هذه الأحياء يكفي لأن يشغل الباحثين أشهراً .

مزايا هذه البحوث

وقلت للدكتور جوهر بك : ألا ترون أن البحوث البحرية أدنى إلى الكماليات منها إلى الضروريات .

فأجاب : حقيقةً ان البعض يرى هذا الرأي ، حتى من رجال الجامعة أنفسهم . ولكن الواقع ان بحوث الأحياء المائية ضرورية وستشهد مصر فائدتها عن قريب .

وآية ذلك ان الباحث عن البترول يستعين بالحيوانات المائية التي يصادفها في حفرياته للاستدلال على طبيعة الأرض التي ينقب فيها ونسبة تشبعها بالبترول. ومعروف ان البترول يتكوَّن من تحلل عناصر منها عناصر حيوانية كلها أو جلها من الأحياء المائية .

أضف إلى ذلك ان في درس ظواهر الحياة بين الأحياء المائية كسباً علمياً ناتجاً من أن الحياة بدأت في البحر ، فإذا شئنا أن ندرس ظواهرها تعيَّن علينا أن ننشدها في الكائنات التي تعيش في البحر .

وقال الدكتور جوهر بك ان مصر مقدمة على عصر نرجو أن يكون قريباً وفيه تستغل كل قطرة من ماء النيل وكل كائن حي يعيش فيه . وللبحوث المائية شأن كبير من حيث معرفة القيم الغذائية والصناعية في الأحياء البحرية والنهرية .

أتنقل الحيوانات المائية الجراثيم

وسألته : هل تنقل الحيوانات المائية جراثيم الأمراض الوبائية كالكولرا والتيفود وأشباههما كما قال الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك .

فأجاب : لا شك في أن للدكتور عبدالخالق بك كل الحق في دعوته ، فالأحياء المائية تنقل جراثيم الأمراض ، ومن الخطورة ترك المجاري في الاسكندرية تصب في البحر والرأي عندي أن أفضل وسيلة لمعالجة هذه الحال انشاء مزرعة لتلافي هذا القصور المعيب وإن كان إنشاؤها يقتضي نفقات كبيرة .

رؤية الحياة تحت البحر

وقال الدكتور حامد جوهر بك ان عند محطة الغردقة زورقاً فريداً في نوعه له قعر من الزجاج الشفاف بحيث يتسنى للمرء أن يجلس فيه ويطوف في البحر الأحمر ليرى الحياة تحت سطح الماء رأي العين ويشهد السمك والأصداف والمحار والقواقع وما إليها من الأحياء المائية تسبح وتأكل وتتكاثر ، وقد زار المحطة كثيرون من كبار المصريين منهم المرحومان الدكتور علي ابراهيم باشا والدكتور عبد الواحد الوكيل بك والدكتور حسن أفلاطون بك ، وزارها أخيراً الدكتور ابراهيم شوقي بك مدير جامعة فؤاد الأول فشهدوا مدى ما حققه العلماء المصريون من كشوف علمية كبيرة الشأن . وعند الدكتور أفلاطون بك أفلام سينمائية رائعة تصوّر الحياة في قعر البحر بالألوان الطبيعية ، وتعد هذه المجموعة ثروة علمية لا تقدر بثمن

فضل الملك فؤاد

وقبل أن يختم الدكتور حامد عبدالفتاح جوهر بك حديثه معي قال : لا يسع المرء إلاّ أن يذكر بالاجلال والاكبار فقيد مصر العظيم ساكن الجنان الملك فؤاد الأول فقد كان جلالته أول من أنشأ معهد الغردقة المائي ومعهد الشاطبي في الاسكندرية وأنفق عليهما المال عن سعة ليجعل منهما معهدين علميين ناجحين ومن المؤسف أن معهد الشاطبي أوصد أبوابه ، ولكن قرينه يسير في طريقه حاملاً رسالة العلم والنور .

وسيشهد عهد الفاروق مزيداً من أمثال هذه المعاهد ، ولن يمضي وقت طويل حتى يكون في كل من مدينة السويس وميناء بور سودان معهد مائي يؤمه طلاب مصريون للتخصص والتفرغ .

وديع فلسطين

مكتبة المقتطف

تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي

الجزء الثالث — للدكتور حسن ابراهيم حسن

ما أشبه الجانب السياسي من التاريخ الاسلامي . بفيافي مترامية الأرجاء لا يأخذ الطرف في أنحائها غير صوًى ، وأحجار ، ومعالم ، ودمى ، كأنها الألسنة الضارعة تنطلق هاتفة من أعماق الماضي مستغيثة في طلب النجدة من مهاوي الفناء ، أو الذوائب الخافقة على سطح السفينة التي تغوص في بطن الأمواج ، رويداً ، رويداً ، فلا تلبث الذوائب أن يبتلعها اليم فالذي يشمر عن ساعده وينفض عنه عوادي الخمول ، ويأخذ على عاتقه إستحياء هذا الموات وينهض في استجابة هذا الغوث ، لهو جديرٌ باكليل يتوج به رأسه العزيز . وهذا ما يحاوله الدكتور حسن ابراهيم — فالجانب السياسي من تاريخنا الاسلامي لم يرزق حتى الآن من يكتبه كتابة تاريخية ، علمية ، مهذبة إذا استثنينا — بعض الفترات التي نالت بعض العناية — فاذا قام الدكتور بتصوير هذه الناحية الاسلامية ، السياسية ، كان خليقاً بكل ما يقدم للعلماء المخلصين في رفع المستوى الثقافي في أممهم ، والمساهمة العامة عن هذا الطريق في تزويد الثقافة العالمية ، والدكتور — حسن ابراهيم — وقف نشاطه العلمي على هذا الجانب التاريخي ، وهو دائب النشاط في هذا المجال ، وقد زوّد محصولنا التاريخي بمجهودات مشكورة ، من أهمها التصدي لكتابة تاريخنا السياسي من بزوغ فجره حتى نهاية العصر الأموي ، ثم أردفه بآخر عن العصر العباسي الأول ، وعززه بثالث عن العصر العباسي الثاني — وهو الذي بين أيدينا — ولكنه لم يأخذ نفسه بتتبع الخطوات التي خطاها من جزئه الأول ، بل تنكب هذا الطريق ، وحاول أن يوسع دائرته فضمَّ الى الجانب السياسي ، الجانب الثقافي ، والديني ، والاجتماعي فتصوَّر أي مجهود يضطلع به الدكتور — وحده ، وهو مجهود يثقل كاهل العصبة أولي القوة ، فهل كان التوفيق حليفه فيما وطن نفسه عليه ، أم خانته قواه شأن كل من يعاني من لم يبلغه ذرعه ؟ لا شك أن هذا النهج الجديد

قد جنى كثيراً على عمل الدكتور ، ونال منه بل لا نغالي إذا قلنا أنه نأى به عن مركز الدراسة التحليلية الدقيقة وأصبح سجلا لمعلومات عامة حظها من العمق ، والدقة ، غير كثير ، فما هو التاريخ ؟ أليس هو بعث الماضي حيًّا ، نابضاً بقدر ما يتهدى للانسان من تلك المحاولة ؟ أليس يحتاج الى عمق الفكر ، ونفاذه حتى يستطيع أن ينفذ الى الاعماق ، ولا يظل طافياً على السطح ، مبهوراً بالبريق ، ويتطلب سعة الخيال الذي يرد اليه تلك الصور التي اختفت أو كادت معالمها ، وانبهمت سماتها ، ويؤلف له تلك الألوان والشيات والاستعانة بالبيان الذي يعاونه على إبراز الصورة ، حية موحية ، حتى يغدو قطعة من ذلك السجل الزمني ، والروحي يوجه ، ويوحى ، فحظه من الأدب ليس بالنزر القليل حتى سوّغ ذلك لبعض العلماء أن يعد التاريخ من الأدب لا من العلم وذلك لتأثيره وتوافر العناصر الأدبية له ، وليست الطبيعة بهذا السخاء الذي يُضفي تلك المواهب على كثيرين ، فهل توافرت ملكات المؤرخ للدكتور على أتمها ؟ أما أنه مشغول بالأبحاث التاريخية وأنه واسع الاطلاع كثير المراجعة فهذا ما تؤيده المراجع الكثيرة المتعددة ، أما ملكة النقد . أو الحاسة التاريخية التي هي عمدة المؤرخ ، وأما الخيال الذي يمده بالصور ، وأما البيان الرقيق الذي هو أداة المؤرخ في إبراز تاريخه فلا أعتقد أن الدكتور يأخذ من هذه الملكات بما ينهض به إلى الصف الأول من كتاب التاريخ في هذا العصر فهو أقرب الى روح مؤرخي العصور القديمة من حيث الجمع ، والرواية ، بدون نقد .منه إلى هؤلاء العلماء الذين يكتبون التاريخ في هذا العصر . فهو يغلب على إنتاجه الجمع .أما النقد ، والتحليل وإستخلاص العبر ، أما تلك الفلسفة العميقة التي تشيع في كتابة التاريخ ، وتدرأ عنه أشباح الخرافات وتعصمه من الأوهام ، وسليقة البيان الصحيح فلا ، فهذا الكتاب يكاد يخلو خلوًّا تامًّا من كل خصائص المدرسة الحديثة في كتابة التاريخ . من حيث النقد . واشراق الديباجة . والخيال الذي يعكس عليك صور العصور . فحظ النقد فيه ضئيل ، وأسلوبه تعوزه هذه الثياب الأسلوبية . اللازمة للمؤرخ ، فما كان أجدر بالدكتور بدل إقحام كل تلك المواد التي تتعلق بالجانب الديني ، والثقافي ، والاجتماعي ، أن تتركها حيث يقوم بها من هو أقدر على القيام بها ، ومن يملك الزمن . والموضوع . ويكون إنتاجه خليقاً بأن يسد فراغاً لا يجمل أن يظل شاغراً وأن يركز عنايته في الجانب السياسي رجاء أن يتوفر له من الزمن ، والجهد ، للمراجعة والصقل ، والتهذيب ، وحتى يكون العمل أقرب الى السلامة من الشوائب منه إلى هذا الجهد الذي تتقسمه الناحية السياسية ، والثقافية والدينية ، والاجتماعية ، هل يعتقد الدكتور أنه قدم ما يشفي غلة الباحث . أو عرض جديداً

في الناحية الدينية ، والأدبية ، أليست هذه المعلومات التي تتعلق بهذه الناحيـة يكاد أقل كتاب في موضوعها يضم أكثر منها كمًّـا ، وكيفاً . وبدل أن تحشد كل هذه المعلومات التي يعوزها الدرس . والصقل . في هذا الحيز الـكبير جدًّا . الذي يبلغ السبعمائة أو يزيد من القطع الـكبير جدًّا ، والحرف الصغير جدًّا ، لِمَ كل هـذا يا دكتور ! إن هـذا الحيز الذي ملأه هذا الحشد الضاغط من الروايات كان يكفي وحده للجانب السياسي من التاريخ الاسلامي كله ، لو كتب بعناية ، ودقة ، وحرص إن هـذا العمل يا دكتور . جنى على ثمرة عملك . ونزل به من كرسي الأستاذية ، الى الأخذ من كل شيء بطرف — كما يقول القدماء . والذي حدا بي الى هذه الملاحظات انني اعتقد أن هذه الرسالة التي يحاول الدكتور تبليغها ، لها خطرها في تناول تاريخنـا ، وتوجيه دراسته في هذا الوقت لو برئت من المآخذ ، فلعلَّ الدكتور ، سالـكاً في الأجزاء القادمة ما يرجع بعمله الى مكان التجلة ، من آثار التاريخ الرائعة وأن تحفظ له الأجيال أثره في تاريخها ، وما يتفق ومركز أستاذ التاريخ بالجامعة ،

محمد عبد الحليم أبو زيد

مريوط — جنة الصحارى الغربية

للأستاذ عبد اللطيف واكد

قليل من الـكتب ما يجمع بين اللذة والفائدة . وكتاب مريوط للأستاذ عبد اللطيف واكد من أمتع ما يقرأ للذة بينما يخرج منه القـارىء وقد ألمَّ بأقليم من أرض مصر مجهول تماماً لدى المصريين جميعاً اللهمَّ من اتصل به بحكم عمله من الموظفين . والعجيب أن هذه الأقاليم نفسها مريوط والواحات تعرف عنها دوائر أوربا كل صغـيرة وكبيرة ! وسيكون احتفال هذه الدوائر وتقديرها لهذا الـكتاب كبيراً ولا شك . وأنها لخدمة جليلة يقدمها الـكاتب لابنـاء مصر حيث جعلهم في كتابه يتعرفون الى اقليم هام من جسم الوطن بل يطوفون معه في تلك الأرجاء البديعة المترامية ويعيشون بين أهلها من قبائل البدو وسكان الواحات ويرون تلك العيون التي لا ينضب معينها فتفيض مياهها وسط الصحراء الشاسعة ومعها يفيض الخير والبركات وتدب الحياة في القفر الموحش (وجعلنا من الماء كل شيء حي) . . وأن الانسان ليدهش أن تكون تلك الاراضي على الساحـل من الاسكندرية حتى مرسى مطروح والسلوم على مثل هذا الخصب العجيب وأنها لثروة مجهولة لو اتجهت اليها الأنظار لدرَّت من المحاصيل الشيء الـكثير . . وما كنا لنعلم قبل أن وضح لنا الأستاذ واكد في كتابه القيم إن وزارة الزراعة قسم البساتين تقوم بهذا العمل النافع الجليل في تلك الأنحاء ،

ان الأسلوب الطلي الدقيق الذي عرض به الأستاذ بحثه والعطف الذي يفيض به قلبه على تلك الأماكن ليثير ان في النفس رغبة ملحة لزيارتها كي تستمتع بهذا الذي يعرضه كتاب مريوط من جمال الحياة وطرائف العادات .

لقد وقفنا مع الأستاذ عند واحة سيوة وقفة ممتعة علَّمتنا فيها الحياة الاجتماعية في هذه الواحة ونظام الري من العيون والآبار ونحن نهيب بوزارة المعارف أن تقرر هذا الكتاب بمكتبات مدارسها ثم نهيب بجامعتي فؤاد الأول وفاروق والأزهر أن توجه الرحلات المدرسية الى هذه الأماكن ليتعرَّف أبناء مصر على جزء مجهول من الوطن من العار أن يظل مجهولاً ... لقد ساءلت نفسي بعد قراءة هذا الكتاب أي كسب تحقق لي بقراءته فوجدته كسباً غير قليل واني أزجي للكاتب الفاضل إعجابي بأسلوبه وشكري على ما أفدته من كتابه الممتع .

محمد فهمي

مجلة المشاة

أصدر سلاح المشاة مجلة جديدة أطلق عليها اسمه حوت طائفة كبيرة من المقالات العسكرية النفيسة اشترك في تحريرها معالي محمد حيدر باشا وزير الدفاع واللواء طه محمد باشا والأميرالاي احمد علي المواوي بك رئيس هيئة ادارة المجلة والبكباشي محمد عبد الفتاح ابراهيم رئيس التحرير والبكباشي احمد سيف اليزل خليفة والقائمقام احمد شوقي عبدالرحمن والصاغ احمد الغريب زايد واليوزباشي محمد كمال عبد الحميد واليوزباشي احمد حسن عودة

وجاء العدد الأول من هذه المجلة من حيث الطبع والاخراج والتنسيق والمادة فخراً للذين أشرفوا على اصداره وتحريره مما يتعين معه اسداء موفور الشكر لهم تقديراً لجهودهم الطيبة الموفقة .

الفكر المتمرد

في كتاب « الفكر المتمرّد » ثورة شنها الأستاذ حنا أبي راشد على الأوضاع الحالية في الشرق فهو متمرّد على القيود المفروضة على العقل من تقاليد وعرف وأباطيل وأغلال ولذلك يدعو إلى أن يتخلق الشرق بما سماه « العقل الميكانيكي » أي أن يستعين بالآلة في كل عمل من أعماله ويستغل بلاده وموارده استغلالا صناعيًّا اقتصاديًّا لأن الحروب إذا حلت وليس من عاصم منها — لا يكتب النجاة فيها إلا الذين أخذوا لها عدّتهم وعرفوا كيف يواجهون الحديد بالحديد والآلة بالآلة

وفي الكتاب كثير من الموضوعات الاجتماعية والثقافية والفلسفية وهو يطلب من مؤلفه الأستاذ أبي راشد في « دار الصوفير الجديد » الحلمية في الظاهر وثمن النسخة ٢٥ قرشاً

فهرس الجزء الثالث

من المجلد الثاني عشر بعد المئة

١٦١ معاجم اللغة العربية — بين المعجم اللغوي التاريخي والمعجم الكبير : اسماعيل مظهر
١٦٩ نظرات في النفس والحياة : لاناتول فرانس : ع . ش
١٧٧ المهد (قصيدة) : عفيفي محمود عفيفي
١٧٨ الذرة معقل الروح : ميشيل شبلي السعد
١٨٠ الدين والايمان بالمجردات : عبد المتعال الصعيدي
١٨٥ العرب يعلمون الغرب الكيمياء والجبر : روبرت تشستر
١٨٦ خصائص الفن الاسلامي : محمد رجب البيلي
١٩٤ العربية في رجل : محمد اسعاف النشاشيبي : محمد عبد الغني حسن
٢٠١ حقائق عن الكوليرا : الدكتور حسن بك كمال
٢١٨ للهوام الكبيرة هوام صغيرة
٢١٩ حافظ وشوقي : حسن كامل الصيرفي
٢٢٦ من حياة أبي نواس
٢٢٧ مشهد من مسرحية كليوباترا : محمد فهمي
٢٣٠ المراسلة والمناظرة ٭ حتمية ثبوت همزة الوصل بعد أل التعريف : رشيد السعد : على هامش البلدان : محمد الشاذلي حسن
٢٣٣ باب الاخبار العلمية ٭ المصريون يكشفون ٥٠ نوعاً جديداً من الاحياء المائية : وديع فلسطين
١٣٦ مكتبة المقتطف ٭ تاريخ الاسلام السياسي محمد عبد الحليم أبو زيد : مربوط جنة الصحارى الغربية محمد فهمي . مجلة المشاة . الفكر المتمرد .

٢ — لحق المقتطف

٥٧—١٠٨ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث : بقلم مصطفى عبد اللطيف السحرتي